للدكتور فاندر

ميزان الحق

الجزء الثالث

كيف نعرف الدين الحق؟

MARKAZ-ASH-SHABIBA P.O.B. 354
CH-4019 BASEL · SUISSE



الباب الثالث

بحث باخلاص في دعوى ان دين الاسلام دين الله الابدي

—*—

الفصل الاول

في ايضاح سبب البحث

اسمح لي ايها القارئ الكريم ان اقص عليك حادثة: منذ سنين كثيرة سافر الى شيراز (من امهات مدن الفرس) تاجر مسيحي يحمل بين يديه تجارة لا يقدر ثمنها ألا وهي نسخ من كلام الله اي كتاب « اهل الكتاب » الذي يشهد له القرآن كما شرحنا في ما تقدم ومن العجيب انه حالما اطلع الاهالي على تجارته اثار عليه المشائخ زمرة من الرعاع فاوسعوه ضرباً ومزقوا كتبه وداسوها بالاقدام واخرجوا الرجل خارج المدينة وتهددوه بالقتل ان عاد بمثل هذه الكتب والحاصل انهم عملوا به ما عمله الكرامون في العبيد الذين اوفدهم سيدهم ليأتوا بثمر الكرم (مت ٢١: ٣٣—٤٤) فكيف والحالة هذه يقولون بملء افواههم « آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من

ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون »؛(سورة البقرة آية ١٣٦)
ومن جملة الذين شاهدوا هذه الحادثة صبي من اهل تلك البلاد فاخذه
العجب والحيرة من اولئك المشايخ الذين حرضوا على اتلاف كتب
يقول القرآن انها منزلة من عند الله وانه مصدق لها ومهيمن عليها
واعمل فكره لحظة وقال في نفسه لعلها تشتمل على امور يخشى منها
ساداتنا العلماء على ثبات القرآن واقلق هذا الفكر باله اذ كان متمسكاً
باذيال دينه واجتهد ان يتخلص من هذا الفكر ويريح قلبه من العناء.
وحدث انه لما شب صمم ان يقف على البينات التي تؤيد الاسلام
ليستريح من الشكوك التي ازعجته حيناً من الدهر وكان على مقربة من
شيراز يسكن عالم حاز شهرة كبيرة في حرصه على مناسك دينه مثل
اقامة الصلاة وتلاوة القرآن وصيام رمضان الخ فاتى اليه صاحبنا ابتغاء
الاستفادة منه والوقوف على جلية الامر واخفى ما في نفسه من
الشكوك خوفاً منه وبعد عبارات التجلة والاكرام قال له انني يا مولاي
قابلت بالامس يهودياً واجتهدت ان ابرهن له صحة دين الاسلام
لاجتذبه اليه فسمع لي كل ما قلته لاثبات رسالة نبينا (صلعم) ولم يقتنع
فهل يتكرم مولاي بسرد البراهين التي يجب ان اقولها له. فالتفت اليه
العالم عابساً وقال «الارجح عندي انك كافر» فخاف الغلام وسافر الى

بومباي وحالما تيسر له الامر استعار نسخة من الانجيل وقرأها بتأمل
رجاء ان يعثر على الشيء الذي ازعج المشائخ حتى حرضوا على اتلافه
ويقال ان اشد التعذيب وقعاً على النفس بعد تبكيت الضمير هو
ارتياب المرء في الدين الذي نشأ فيه فضلا عن كون الشك يضعف عزيمة
الانسان عن تأدية الواجب ويخيب رجاءه في الحياة الاخرى ويعرضه
لتجارب ابليس الا ان الله سبحانه وتعالى سمح ان تختلف الاديان
وتتضاد حتى يتزكى المفكرون طلاب الحقيقة ويظهر الحريص من
المتهاون فالواحد لا يبالي والآخر يحصر فكره في الموضوع باحثاً عن
الادلة التي تؤيد دينه ولولا الاهتمام بالسؤال والبحث ماغير احد دينه
سواء أكان حقاً او باطلاً ومن هنا تظهر ضرورة فحص اركان الدين
والوقوف على صحيحه من فاسده.والضمانة الوحيدة للسلامة من
الضلالة في البحث هو ان يبحث طالب الحقيقة بروح التواضع
والاخلاص جاداً في طلب مرضاة الله مبتهلا اليه ان يمده بهدايته بنور
من السماء ليعرف الحق من الباطل ويسلك في الحق كبني النور فاذا
كان من بعد البحث بهذه الكيفية يظهر لك ان دينك حق تنتفي من
قلبك الشكوك الى الابد وتفيض نفسك حمداً لله لاجل توفيقه لك
بالهدى ثم تقبل الى بني جنسك ترشدهم بما فتح الله عليك شارحاً لهم

طريق الخلاص. ولكن اذا اتضح لك بعد التأمل ان دينك باطل والشكوك التي خالجت قلبك مبنية على تثبت وحسن نظر فما احرى بك ان تطرح من وراء ظهرك هذا الدين الباطل وتجدّ في طلب الحق لتفوز برضوان الله والحياة الابدية. وعلى كل حال فلا ضرر من البحث باخلاص وتدقيق في اصول الايمان وانما الضرر هو انه اذا فطن الباحث الى موضع الخلل في دينه لا يقوى على عواطفه فيخدع نفسه ويتعامى عنه نعم ان في هذا الطامة الكبرى اذ تتوالى عليه الشكوك ويقع اخيراً في شرك الكفر ويموت بلا اله وبلا رجاء فما احسن البحث باخلاص وجد كما في المثل المشهور من طلب شيئاً وجدّ وجد ومن قرع باباً ولجّ ولج .

فهلموا بنا معاشر الاسلام نبحث معاً نابذين التعصب جانباً في الاصول المبني عليها دينكم ونعرضه على القاعدة التي قدمناها في الجزئين الاولين من كتابنا وعرضنا عليها الديانة المسيحية .

فنقول ان الركن الاول الذي بُنيَ عليه الاسلام هو الشهادتان أما الشهادة الاولى فمقبولة عند اليهود والمسيحيين كما هي مقبولة عند المسلمين انفسهم وهي «لا اله الا الله» وقد شرحنا هذه الكلمة في كتابنا وان الادلة على وجود الله ووحدانيته كثيرة ووردت في

كتب متعددة عدا عن امكانية الاستدلال عليها من الخليقة وعليه فلا حاجة بنا الى مزاولة البحث في ما نحن متفقون عليه. الله سبحانه عز وجل قد اقام الدليل على وجوده ووحدته في كل ورقة نبات وزهرة بل في ضمائرنا ووجداننا وفي وحدة نظام الكون والحاصل انه توجد الوف من الادلة على صحة الشهادة الاولى .

أما الشهادة الثانية ألا وهي «ان محمداً رسول الله» فمليها مدار بحثنا فما هي الادلة ياترى على صحة رسالة محمد ؟ اشار اخواننا المسلمون الى جملة ادلة اهمها ما يأتي : —

(١) قالوا ان اسفار العهد القديم والعهد الجديد تنبأت عنه

(٢) قالوا ان لغة القرآن وتعاليمه مما ليس له نظير في كل الكتب وعليه فالقرآن بمفرده هو الدليل الاعظم على صدق دعوى محمد

(٣) آيات محمد ومعجزاته كختم الله على رسالته

(٤) حياته واخلاقه برهان على انه خاتم الانبياء وسيد المرسلين

(٥) سرعة انتشار دينه برهان على ان الله ارسله بالكتاب النهائي

نقول ان هذه البراهين لاشك انها تستحق الاعتبار وتثبت رسالته فقط اذا كانت حقيقية ولهذا ينبغي للعاقل قبل ان يعتنق هذا الدين ان يفحص البراهين المذكورة فحصاً دقيقاً كما ينقد التاجر الدراهم

التي يبيع بها بضائعه لئلا يقع في شرك محتال ذي دهاء. وصدق من قال سعادة المرء في دنياه واخراه متوقفة على نفاذ عزيمته في مايختاره لنفسه. فالآن دونك شيئاً من شيئين اما ان تؤمن ان المسيح هو مخلص العالم او المخلص هو محمد. قد اتينا بهذا التخيير لا من باب التحامل على الاسلام ولا التشيع للنصرانية بل من باب مقارنة الشيء بنظيره والبحث بعناية وحذر وصلاة في ماهو اقوم سبيلا. كل من المسلمين والنصارى لهم مصلحة في هذا البحث الهام فان اخلصوا جميعاً لوجه الله كانت النتيجة خيراً لان الحق لا يظل محتجباً وقتاً طويلا ولا بد ان يظهر يوماً ما كالشمس عند الظهيرة.

وهذا ما عزمنا على بيانه في الفصول الآتية «صادقين في المحبة كما يجب على المسيحيين» (اف٤:١٥) باذلين الجهد ان نمحص كتاباتنا من كل ما يجرح احساسات اخواننا الذين يبحثون على الحقيقة باخلاص وجد بان نجتنب كل عبارة بل كل كلمة لا تنطبق على ناموس اللطف والمحبة فاذا زل قامنا وكتبنا شيئاً يشتم منه رائحة التعصب فنرجو المعذرة سلفاً لان نيتنا حسنة اذ لسنا نريد سوى الفائدة لاخواننا كما نريد لانفسنا والانسان مهما احترس لا يسلم من الزلل ومن شيم الكرام الصفح .

الفصل الثاني

هل تنبأ الكتاب المقدس عن محمد

لاشك ان مجيء المسيح سبق الانباء به في اسفار العهد القديم في مواضع كثيرة تفوت الحصر وذلك من المسلم به فان فرضنا ان الله قصد ان يبعث الى العالم رسولاً آخر إعظم بكثير من المسيح لا بد ان يسبق الانباء عنه لا في اسفار العهد القديم فقط بل وفي الجديد ايضاً.وعليه يلزم بطبيعة الحال ان يبحث اخواننا المسلمون في اسفار العهدين عن النبوات التي تؤيد دعوى مؤسس دينهم ثم ان كان محمد خاتم الانبياء وسيد المرسلين ومن اجله خلق الله العالمين فيكون من العجب العجاب ان لا تتقدمه النبوات لتوجيه الانظار اليه والانقياد لأوامره ولما لم يقدر المسلمون ان ينكروا ضرورة ذلك اضطروا ان ينتحلوا من الكتاب نبوات عن رسولهم وادعوا انه كان يوجد نبوات اخرى اكثر من هذه حذفها اليهود والنصارى.

واما دعواهم بوقوع الحذف والتحريف في الكتاب المقدس فقد دحضناها بالدليل الساطع والبرهان القاطع في الباب الاول واثبتنا ان الكتاب المقدس المتداول اليوم بين ايدينا هو عين الكتاب الذي كان

موجوداً في عصر محمد وقبل عصره بقرون كثيرة ولم تمسسه يد المفسدين لا قبل محمد ولا بعده اذاً لا حاجة بنا الى بيان تزييف ما ادعوه بهذا الخصوص.واما اذا كان يوجد في الكتاب حقيقة نبوات تشير الى محمد فيجب على كل مسيحي ان يلتزم بها ويؤمن بخاتم الانبياءوهو مطمئن وليس لاحد منا حجة اذا اعتذر عن تلك النبوات بان المسلمين زادوها على الكتاب يوم كان لهم السلطة على النصارى في كثير من البلدان.ولكن ان ثبت انه لا يوجد في كتابنا اية نبوة عن محمد فلا يكون من الشجاعة وحرية الفكر ان يعتصموا بالدعوى الاولى وقد تبين فسادها كقولهم انه كان في كتابهم نبوات عن محمد ونحن اهل الكتاب حذفناها الخ

على ان مجرد احتجاجهم بكتابنا على رسالة نبيهم دليل على انهم معترفون اولاً بانه موحى به من الله وثانياً انه غير محرف بل باق على اصله والا فما الداعي الذي يحملهم على الاحتجاج بكتاب يعلمون انه تأليف الناس فاذا اعترف المسلمون حقيقة بالمقدمتين المذكورتين يكون البحث حينئذ في الآيات التي زعموا انها تشير الى نبيهم بحثاً مثمراً ولذيذاً والا كان البحث عقيماً.ولسنا ننكر ان كثيراً منهم ذوو علم واطلاع لا يسعهم انكار القضيتين السابقتين اي ان الكتاب

المقدس موحى به وانه باق على اصله غير اننا نرجو من حضرات القراء الكرام ان يعترفوا بصحة البراهين التي بسطناها في الباب الاول والثاني من هذا المؤلف وانها تثبت سلامة الكتاب المقدس.

ومن المسلم ان لنا الحق ان نفسر آية في الكتاب بآية اخرى وكل مطلع خبير يعلم ان التفسير بهذه الكيفية قرين الصواب لازالة ما عساه يرد في الكتاب من المعضلات وما يعترض به عليه من وجوه المناظرة كما هي الحالة في اي كتاب آخر لان الآيات الغامضة يجب ان تُشرح بالآيات الظاهرة حسب موقعها في سياق الكلام. مثال ذلك ان كانت آية متأخرة تشرح آية متقدمة عليها فلا يجوز لعالم فاضل خال من التعصب ان يرفض الشرح الكتابي ويلجأ الى تفسير غريب لا يتفق مع سياق الكلام ولا مع الآيات الصريحة الواردة في المواضع الاخرى. وبهذه الكيفية التي يزكيها كل عالم فاضل نتقدم الى فحص الآيات التي اوردها اخواننا المسلمون من الكتاب المقدس لاثبات نبوة محمد ونبدأ بآيات العهد القديم

(١) (تك ٤٩:١٠) زعموا ان هذه الآية تشير الى نبوة محمد وخصوصاً لان كلمة «يهوذا» عدد ٨ مشتقة في الاصل العبراني من الفعل «حمد» كما اشتق اسم «محمد» وهذا الزعم باطل لانه ظاهر من القرينة

ان شيلون المقولة في شأنه النبوة يولد من ذرية يهوذا وظاهر ان محمداً لاهو من ذرية يهوذا ولاهو من ذرية اسرائيل بل من قبيلة قريش وشتان بين قريش وبين بني اسرائيل.وعدا ذلك فان قضيب الملك زال من الامة اليهودية قبل ولادة محمد باكثر من خمسمائة وخمسين سنة والآية تقول انه لا يزول حتى يأتي شيلون الخ وعليه فالآية المذكورة لاتشير الى محمد وقد اتفق مفسرو اليهود ان كلمة شيلون من القاب المسيح وكذلك السامريون فهي تشير الى المسيح لانه هو الذي ولد من سبط يهوذا واياه اطاعت الشعوب.

(٢) تث١٨: ١٥و١٨ قالوا ان النبي الموعود به هنا لايكون من بني اسرائيل وعبارة «من وسطك» لم ترد في الترجمة السبعينية ولا في اسفار موسى عند السامريين ولا هي وردت في (اع٣: ٢٢) بل قيل «من اخوتك» اي الاسمعيليين (قابل تك٢٥: ٩ مع ١٨) وقالوا لم يقم نبي كموسى في اسرائيل بدليل هذه الآية (تث ٣٤: ١٠) وان محمداً كموسى في جملة وجوه كلاهما نشأ في بيوت اعدائهما وكلاهما ظهرا بين عبدة الاصنام وكل منهما رفضه قومه اولاً ثم عادوا فقبلوه والاثنان هربا من وجه اعدائهما اما موسى فهرب الى مديان واما محمد فهاجر الى المدينة واسما الموضعين بمعنى واحد وكل منهما نزل الى

ساحة القتال وحارب الاعداء وعمل المعجزات وساعد اتباعه من بعد موته على امتلاك فلسطين هذا ما قاله المسلمون. ورداً عليهم نقول ان الآية الواردة في (تث ٣٤:١٠) تفيد انه لم يقم نبي كموسى في اسرائيل الى الوقت الذي كتب فيه هذا السفر وكلمة «بعد» تفيد ان بني اسرائيل توقعوا ان يكون النبي منهم لا من الخارج واما عبارة «من وسطك» فهي واردة في اكثر النسخ .

ومع ذلك فالمعنى بها وبدونها ظاهر. لا ننكر ان اسمعيل اخ لاسحق من ابيه الا اننا نقول اذا صح بناء على هذه القرابة اعتبار بني اسمعيل وبني اسرائيل اخوة فكم بالاولى كثيراً يكون اسباط اسرائيل الاثنا عشر اخوة بعضهم لبعض وقد ورد مثل ذلك في القرآن انظر سورة الاعراف آية ٨٤ حيث يعتبر شعيباً اخا لمدين وعدا ذلك فقد كثر في سفر التثنية عينه اعتبار البعض من الاسرائيليين اخوة للبعض الآخر (انظر ٣:١٨ و١٥:٧ و١٧:١٥ و٢٤:١٤) وفي اصحاح ١٧:١٥ وردت عبارة نظير الآية المطروحة على بساط البحث بخصوص الرجل الذي يجب أن يتوجوه عليهم ملكاً حيث يقول خطاباً لاسرائيل «فانك تجعل عليك ملكا الذي يختاره الرب الهك من وسط اخوتك تجعل عليك ملكا لا يحل لك ان تجعل عليك رجلا اجنبياً ليس هو

اخاك» ان اكثر ممالك اوربا ان لم نقل كلها محكومة بعائلات اجنبية او كانت اجنبية يوماً ما اما بنو اسرائيل فمن اول تاريخهم الى نهايته لم يتوجوا رجلاً اجنبياً ملكا عليهم.ولو كان استدلال المسلمين بآية البحث استدلالاً صحيحاً لوجب على بني اسرائيل كلما احتاجوا الى ملك ان يذهبوا الى الاسمعيليين ويختاروه منهم الا انهم لم يفعلوا مثل هذا الفعل بل كانوا يعينون ملوكهم من بينهم وهم اعلم من غيرهم بلغتهم ويعرفوا التفسير الحقيقي لعبارة «من اخوتك» .

ومن من المسلمين اليوم اذا قيل له ان يستدعي احد اخوته ليتقلد منصباً عالياً يفهم من ذلك ان يستثني اعضاء عائلته ويبحث عن رجل غريب تجمعه معه رابطة الجدود الاقدمين؟ وبخلاف ذلك فقد ورد في التوراة نصوص صريحة تحذر بني اسرائيل ان لا يقبلوا اي نبي من ذرية اسمعيل لان عهد الله كان مع اسحق لا اسمعيل (تك١٧:١٨—٢١ و٢١:١٠—١٢) ولا يأخذنك العجب اذا قلت لك ان القرآن نفسه يؤيد رأي التوراة من هذه الحيثية لانه يصرح في مواضع كثيرة ان النبوة موكولة الى بني اسرائيل ومن ذلك قوله في (سورة العنكبوت آية ٢٧) ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب الخ» وقوله «ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة

ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين» سورة الجاثية آية ١٥

ويقال خلاف ما تقدم ان النبي المنتظر في آية البحث موعود به ان يرسل لبني اسرائيل واما محمد فاعان رسالته بين العرب الذين منهم ولد وبينهم نشأ. واما من جهة وجوه المشابهة المشار اليها في آية البحث بين موسى والنبي المنتظر ان يقوم من بني اسرائيل فمشروحة في تث ٣٤: ١٠—١٢ وتنحصر في نقطتين الاولى معرفة الله وجهاً لوجه عند كل من النبيين والثانية المعجزات العظيمة لكل منهما. اما عن النقطة الاولى فنقول انها ليست متوفرة في محمد لانه قال في حديث مشهور «ماعرفناك حق معرفتك» واما عن النقطة الثانية فليست متوفرة فيه ايضاً بدليل القرآن نفسه فانه يشهد في مواضع كثيرة انه لم يأت بمعجزة واحدة وعلى ذلك قوله « وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون الخ» (سورة الاسراء آية ٥٩) انظر تفسير البيضاوي وابن عباس وقوله «وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تأتينا آية الخ» (سورة البقرة آية ١١٢) وقوله «وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه الخ» (سورة الانعام آية ٣٧و٥٧و١٠٩ وسورة الاعراف آية ٢٠٢ ويونس آية ٢٠ والرعد آية ٨و٢٩ والعنكبوت آية ٥٠) هاتان هما نقطتا الشبه المقصودتان في التوراة واما وجوه الشبه الكثيرة التي عددها اخواننا

المسلمون بين موسى و بين محمد فمتوفرة عند مسيامة الكذاب وعند ماني الفارسي فهل يكونان بذلك نبيين؟

ونقول اخيراً ان الله نفسه فسر في الانجيل ما انبأ به في التوراة واظهر ان النبي الموعود به هو المسيح لا محمد (قابل تث١٨: ١٥و١٩ «له تسمعون» مع مت١٧: ٥ ومر ٩: ٧ ولو ٩: ٣٥) ثم ان المسيح ذاته طبق هذه النبوة وغيرها من نبوات التوراة على نفسه (يو ٥: ٤٦ انظر تك١٢: ٣و٢٢: ١٨ و٢٦: ٤و٢٨: ١٤) اولاً لانه من نسل يهوذا وبالتالي من بني اسرائيل (مت١: ١—١٦ولو٣: ٢٣—٣٨وعب٧: ١٤)وصرف معظم حياته بين اليهود واليهم ارسل رسله اولاً ولم يرسلهم الى الامم الا اخيراً (مت١٠: ٦ ولو٢٤: ٤٧ ومت٢٨: ١٨—٢٠ وفي اع ٣: ٢٥و٢٦) تصريح بان آية البحث تشير الى المسيح .

(٣) تث ٣٢: ٢١ «هم اغاروني بما ليس إلهاً اغاظوني باباطيلهم فانا اغيرهم بما ليس شعباً بامة غبية اغيظهم» قالوا ان الامة الغبية المشار اليها هنا امة العرب التي ارسل منها محمد حيث لا يمكن ان تكون امة اليونان التي ارسل اليها بولس وبقية رسل المسيح لان امة اليونان لم تكن غبية بل كانت اهل حكمة وعلم .

ورداً على ذلك نقول هذه النبوة لا تشير الى نبي ولا الى رسول

بل الى ان الله سيغير الامة اليهودية بان يدعو لعبادته الامم الاجنبية يونان وعرب ومصريين وغيرهم وينتظمون في سلك الاخوية المسيحية وكانت تلك الامم في اعتبار اليهود امماً غبية وثنية. وعدا ذلك فان الانجيل نفسه يفسر هذه الآية حسبما فسرناه ومن ذلك قوله «واما انتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي» الى ان قال «الذين قبلاً لم تكونوا شعباً واما الآن فانتم شعب الله الذين كنتم غير مرحومين واما الآن فمرحومون» (١ بط ٢: ٩ و١٠ واف ٢: ١١—١٣) واما القول بان اليونان كانت امة حكيمة وليست امة غبية فنجيب عليه: لم تكن حكمة اليونان الحكمة الحقيقية لانهم لم يكونوا يعرفوا الاله الحقيقي وورد في الكتاب «رأس الحكمة مخافة الرب» «وبدء الحكمة مخافة الرب ومعرفة القدوس فهم» (مز ١١١: ١٠ وام ١: ٧ و٩: ١٠) وورد ايضاً ان حكمة العالم غير مرعية عند الله ومن ذلك قوله «لان حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله» وقوله «الرب يعلم افكار الحكماء انها باطلة» (١ كو ٣: ١٩ و٢٠)

(٤) تث ٣٣: ٢ «جاء الرب من سيناء واشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران واتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة

لهم» قالوا قوله «جاء الرب في سيناء» يشير الى تنزيل الشريعة على موسى وقوله «واشرق لهم من سعير» يشير الى تنزيل الانجيل على عيسى واما قوله «وتلألأ من جبل فاران» فيشير الى تنزيل القرآن على محمد بدليل انهم زعموا انه يوجد بقرب مكة جبل يسمى فاران وردا على ذلك نقول ان القرينة هنا تدل على ان موسى في كلامه على هذه المواضع لم يشر الى انجيل ولا الى قرآن بل اراد ان يذكر بني اسرائيل كيف اضاء مجد الله الى مسافات بعيدة عندما كانوا ضاربين خيامهم عند جبل سيناء ونعلم من خريطة الجغرافية ان سيناء وسعير وفاران ثلاثة جبال متجاورة واقعة في شبه جزيرة طور سيناء على بعد مئات من الاميال من مكة ويظهر صحة ذلك باكثر وضوح عندما نراجع المواضع التي ذكر فيها فاران في التوراة (تك ١٤:٦ وعد ١٠: ١٢و١٢:١٦و١٣:٣ وتث ١:١ و١ مل ١١:١٨) .

(٥) مز٤٥ قالوا بما ان النبي المشار اليه في هذا المزمور متقلد سيفاً على فخذه عدد٣ - ٥ فهو محمد غير انه عندنا جوابان كل منهما يدحض هذه الدعوى الاول نجد في عدد ٦ قوله «كرسيك يا الله الى دهر الدهور» والخطاب هنا للذي قيل له «تقلد سيفك على فخذك ايها الجبار» ولم يدع المسلمون قط ان محمداً إله يصح ان يخاطب بهذا

الخطاب فاستدلوا بصدر الآية واهملوا عجزها والجواب الثاني ورد في الانجيل (عب ١:٨ و٩) ان المزمور المشار اليه خطاب للمسيح واما ما ورد في ذلك المزمور من حكاية العذارى والحظيات وابنة الملك التي في خدرها وعلاقتهن بالمخاطب فهو اشارة الى عروس المسيح الروحية التي هي الكنيسة (انظر رؤ ٢١:٢) والاعداء في قوله «نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك» اشارة الى ابليس وجنوده والقوم الذين اثار غضبهم لمقاومة المسيح وانجيله (انظر رؤ ١٩:١١—٢١)

وجاءت في المزامير نبوات اخرى عن المسيح تشبه ما تقدم ذكره وهي مز ٢و٧٢ و١١٠ ومن المحتمل ان المزمور الذي تكلمنا عنه اولاً يشير الى زواج سليمان الملك من ابنة فرعون (١ مل٣:١) ثم جعل هذا الزواج رمزاً الى الاتحاد الروحي بين المسيح وكنيسته

(٦) مز ١٤٩ زعموا ان هذا المزمور نبوة عن محمد وقالوا ان الترنيمة الجديدة (عدد ١) هي القرآن والسيف ذو الحدين (عدد ٦) سيف محمد وسيف علي ابن ابي طالب الذي جرده لخدمة الاسلام وقالوا ان الملك (عدد٢) هو محمد ورداً عليهم نقول لا يمكن ان يكون القرآن الترنيمة الجديدة لان الترنيم غير مستعمل في العبادة الاسلامية وكذلك السيف ذو الحدين ليس سيف محمد ولا علي بدليل ان الآية

تصرح بانه ليس في يدي الملك الذي يزعمون انه محمد بل في يد الاسرائيليين ينتقمون به من اعدائهم و«الملك» في عدد ٢ قيل عنه في صدر الآية بانه الخالق ودعي في عدد ٤ «الرب» وعدا ذلك لا يمكن ان يقال عن محمد انه ملك اسرائيل ولا فرح اسرائيل بمحمد لان سوء معاملته لهم اشهر من نار على علم كما سترى معاملاته لبني النضير وبني قريظة وغيرهما .

(٧) ادعى بعض المسلمين ان اصحاح ٥ : ١٦ من سفر نشيد الانشاد يشير الى محمد لان كلمة «محامديم» في العبري المترجمة مشتهيات في العربي مشتقة من «حمد» وهي المادة المشتق منها محمد. ورداً على ذلك نقول ان الكلمة العبرانية محامديم اسم نكرة لا معرفة بدليل انه جاء في صيغة الجمع ووردت هذه الكلمة في غير موضع من التوراة بصيغة النكرة (انظر هو ٩:٦ و١٦ و١ مل ٢٠:٦ ومراثي ١:١٠ و١١ و٤:٢ ويوئيل ٣:٥ واش ٦٤:١١ و٢ اي ٣٦:١٩ وحز ٢٤:١٦ و٢١ و٢٥) وجاءت في النص الاخير (حز ٢٤:١٦) « شهوة عينيك » وكانت الاشارة الى زوجة حزقيال قابل (حز ٢٤:١٨) واستعملت ايضاً للاشارة الى بني وبنات عبدة الاصنام من جماعة اسرائيل (حز ٢٤:٢٥) فان صح اسناد كلمة مشتهيات في سفر نشيد الانشاد الى محمد لانها مشتقة

من حمد فيصح ايضاً ان يسند اليه ايضاً كلمة «شهوة» هنا المشار بها الى زوجة حزقيال و بني و بنات عبدة الاصنام لانها مشتقة من «حمد» كذلك

ثم نقول ان في اللغة العربية كلمات كثيرة مشتقة من «حمد» ولكن هذا الاشتقاق لايجعلها خصيصة بمحمد فان قال احد ان محمداً مشار اليه في سورة الفاتحة بكلمة «الحمد» في قوله «الحمد لله رب العالمين» لان الحمد ومحمداً مشتقان من مادة حمد فهل يكون استدلاله صحيحاً وكذلك ان استدل الهندي بان احد آلهته المدعو رام قد ذكر في القرآن في سورة الروم في قوله «غلبت الروم» بدليل ان الاسمين مشتقان من مادة رام كما في القواميس العربية ألا يكون استدلاله مجلبة للسخرية عند اهل العلم والتميز .

(٨) اش ٢١ : ٧ «فرأى ركاباً ازواج فرسان ركاب حمير ركاب جمال» قالوا ان عبارة «ركاب حمير نبوة الى المسيح الذي دخل اورشليم راكباً حماراً وعبارة « ركاب جمال نبوة الى محمد بدليل انه كان دائماً يركب الجمال غير ان سياق الكلام يدل على ان لا اشارة هنا الى المسيح ولا الى محمد انما هذا الاصحاح نبوة الى سقوط بابل كما يظهر من عد ٩ والعبارتان المشار اليهما اي ركاب الحمير وركاب الجمال

تدلان على الكيفية التي يتم بها تبليغ هذا الخبر وتم سقوط بابل على عهد داريوس سنة ٥١٩ و٥١٣ ق . م

(٩) اش ٤٢ : ١ — ٤ ظنوا انهم يجدون اشارة الى محمد في النصوص المذكورة في هذا الموضع غير اننا اذا اعتبرنا صحة ما رواه عن محمد من الاخبار ابن هشام والطبري وابن الاثير والخطيب والواقدي وغيرهم من كتبة المسلمين لا يسعنا ان نصدق ان الموصوف بالسلام والوداعة في الآيات المذكورة هو النبي المتقلد بالسيف ومع ذلك فقد جاء في مت١٢ :١٥—٢١ ان الموصوف بالسلام هو المسيح وقد تمت فيه كل النبوة المشار اليها ثم ان شريعته التي تنتظرها الجزائر هي الديانة المسيحية بدليل ان الجزائر المشار اليها في عصر النبوة جزائر البحر الابيض المتوسط وسواحله وهي مسيحية وما كان غير مسيحي منها فواقع تحت نفوذ المسيحيين

(١٠) في الاصحاح المتقدم عدد١٠و١١و١٢ وردت كلمة قيدار اسم قبيلة من قبائل العرب ولما اطلع على ذلك المسلمون ظنوا ان هذه ايضاً نبوة عن محمد وان الترانيم الجديدة المنوه عنها كناية عن اعتناق قبائل العرب دين الاسلام.ونحن نقول لا يمكن ان الترانيم تشير الى شيء في الاسلام ولا هي معروفة عند المسلمين كما ان قيدار

ليست من المحتم ان تشير الى الاسلام وان كانت من قبائل العرب لان من المؤكد ان كثيراً من قبائل العرب كانت تدين بالدين المسيحي مثل قبيلة حمير وغسان وربيع ونجران والحيرة الخ ولما قويت شوكة المسلمين اكرهوهم على اعتناق دينهم او نفوهم من بلادهم ولا شك انهم يعودون يوماً ما الى دينهم الاول.وهذه الآيات تتمة عدد١ — ٤ وتشير الى انتشار الديانة المسيحية حتى في بلاد العرب نفسها كما تنتشر في جزائر البحر (عدد١٠) اما قوله «عبدي» (عدد١) فمشروح في (اصحاح٤٩:٣) من هذا السفر عينه حيث يظهر ان المراد به هو اسرائيل وهو لاشك اسرائيل الله اي الذين يؤمنون بالمسيح(انظر غل٦:١٦)والمسيح رأسهم لانه قيل عنه انه «رأس الجسد الكنيسة» (كو١:١٨) لهذا فسر قدماء اليهود (اش ٥٢:٣) قوله عبدي بالمسيا المنتظر وعلى كل حال فالمسيح من اسرائيل جاء واياه يمثل اما محمد فلا هذا ولا ذاك

(١١) اش٥٣ يقولون ان هذا الاصحاح نبوة الى محمد بدليل ما يأتي اولاً لانه ولد في بلاد العرب وكان « كمرق من ارض يابسة » ثانياً لانه دفن في المدينة «فجعل مع الاشرار قبره» ثالثاً لانه رأى ثمرة اتعابه وعليه تمت النبوة القائلة «من تعب نفسه يرى ويشبع» رابعاً

قيل في هذا الاصحاح «مع العظماء يقسم غنيمة» وقسم محمد الغنيمة مع انصاره خامساً تمت فيه هذه الكلمات «سكب للموت نفسه» في حين انهم ينكرون موت المسيح ويقولون انه ارتفع الى السماء حياً وردأ على ذلك نقول اولا ان الاعداد ٥ و٦ و٧ و٨ من هذا الاصحاح بكل تأكيد لا تشير الى محمد ولا الى شخص آخر سوى المسيح وهاك نصها «هو مجروح لاجل معاصينا مسحوق لاجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد الى طريقه والرب وضع عليه أثم جميعنا ظلم اما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق الى الذبح وكنعجة صامتة امام جازيها فلم يفتح فاه من الضغطة ومن الدينونة أخذ وفي جيله من كان يظن انه قطع من ارض الاحياء انه ضرب من اجل ذنب شعبي» ثانياً ان نص في عدد ٩ و١٢ لا يناسبان محمداً كيفما كانت الحالة ثالثاً اما من حيث كونه يقسم غنيمة فالآية تصرح بان ذلك يتم بعد موته وتم ذلك فعلا فالمسيح بمعنى روحي اكمل واعظم لان بعد موته وصعوده حالاً ابتدأ الناس من كافة الامم والشعوب ان يؤمنوا به ويحبوه كفاديهم والههم وليست غنيمة كهذه رابعاً اما كون محمد دفن في المدينة وليس في مكة ومن اجل ذلك جعل مع الاشرار قبره فلا ندري لاي سبب اعتبروا المدينة شريرة

مع ان اهلها الانصار الذين دافعوا عنه جهد استطاعتهم في حين ان اهل مكة رفضوه وناصبوه العدوان خامساً كل جزئيات هذه النبوة تمت في المسيح ماهو حرفي فحرفي وما هو روحي فروحي عدا ما فيها من الامارات الظاهرة التي لا يمكن بوجه من الوجوه اسنادها لغير المسيح او على الاقل لا يمكن اسنادها الى مقاتل كمحمد وخلاف ذلك فقد اجمع اليهود الاولون ان هذا الاصحاح نبوة عن مسيا المنتظر وكذلك كتبة اسفار العهد الجديد الملهمين اقتبسوا كثيراً من اقوال هذا الاصحاح كنبوات عن المسيح التي عاينوا اتمامها فيه ومثل هذا الاصحاح . مزمور ٢٢ الذي قد تم أيضاً في المسيح لا سواه

(١٢) اش ٥٤: ١ ظن المسلمون هـذه الآية نبوة تشير الى محمد باعتبار كونه من ذرية اسمعيل وان يزداد اتباعه عن اتباع انبياء اسرائيل واليك نص الآية «ترنمي ايتها العاقر التي لم تلد اشيدي بالترنم ايتها التي لم تمخض لان بني المستوحشة اكثر من بني ذات البعل قال الرب» لهذه الآية معنيان معنى حرفي ومعنى روحي فالحرفي هو ان بني اسرائيل سيعتقون من اسر بابل ويردون الى اورشليم وتمت هذه النبوة بالمعنى الحرفي المذكور في ايام كورش ملك فارس سنة ٥٣٦ ق م (انظر عز ص ١) والمعنى الروحي شرحه بولس الرسول

(انظر غل ٤: ٢١—٣١) حيث تم عندما رجعت الامم عن عبادة الاصنام التي دانوا لهـا من قديم الزمان الى عبادة الله وقبلوا انجيل المسيح ومن غريب الاتفاق ان بولس قرر في هذا الاصحاح عدم أفضلية بني هاجر على بني سارة الروحيين عدا حرمانهم من الميراث .

(١٣) اش ٦٣: ١—٦ يقول المسلمون ان المحارب المشار اليه في هذه الآيات هو محمد بدليل انه من حملة السيف ويظنون ان بصرة المذكورة هنا هي مدينة بصرة الشهيرة غير اننا نجد في العدد الاول انها من بلاد ادوم وتدعى اليوم البصيرة واقعة على مسافة قصيرة من جنوب البحر الميت ثم اذا قابلنا عدده من هذا الاصحاح مع اش ٥٩: ١٥ و١٦ نجد المحارب المشار اليه هو رب الجنود الذي انتقم من ادوم على خطاياها وورد مثل هذا الوصف في رؤ ١٩ : ١١—١٦ حيث يظهر ان ذلك المحارب انما هو « كلمة الله » الذي سيعاقب الفجار ويهزمهم نهائياً ويضع كل اعدائه تحت قدميه (١ كو ٥: ٢٥) .

(١٤) اش ٦٥ : ١—٦ قالوا ان هذه الآيات نبوة عن اهتداء العرب الى الاسـلام والآيات التي بعدها تنبئ عن خطايا اليهود والنصارى التي بسببها رفضهم الله والحقيقة هي ان عدد ١ نبوة عن اهتداء كثير من الامم الى المسيح ولو ان من عدد ٢—٦ تذكر خطايا

اليهود لكن من عدد٨—١٠ يصرح ان الله لا يرفض شعبه المحبوب رفضاً نهائياً بل يعود ويقبلهم (انظر روميةص١١) ولم يرد هنا شيء بخصوص المسيحيين ولا عن محمد .

(١٥) دا ٢:٤٥ زعم بعضهم ان هذه الآية تنبئ عن ظهور الاسلام وامتداده وقالوا ان الممالك الاربع المذكورة في هذا الفصل هي الكلدانيون والمديانيون والفرس واليونان وان اسكندر الكبير هزم الفرس وفرق شملها الا انها عادت الى سابق مجدها فيما بعد واخذت تضعف تارة وتقوى اخرى الى زمن كسرى انوشروان

وبعد موت محمد قصد اليها جيوش المسلمين وفتحوها وفتحوا ما بين النهرين وفلسطين وعليه فمملكة الاسلام هي المقصودة بالمملكة التي خلفت الممالك الاربع وسادت على كل الارض (عدد٤٤ و٤٥)

والحقيقة ان هذا الشرح لا ينطبق على حقائق التاريخ لسبب ظاهر وهو انه لم يكن للمدانيين مملكة بعد البابليين بل هما مملكة واحدة بدليل ان داريوس المادي (دا ٥:٣١و٦و٩:١) قد ملك على الكلدان وهي الاقليم الواقع حول بابل بضعة شهور ثم صار نائباً للملك كورش العظيم وبهذا ابتدأت المملكة الثانية اي مملكة الفرس (دا٨:٣و٤و٢٠) ثانياً اليونان خلفت الفرس فكانت المملكة الثالثة

(دا٨: ٥و٧و٢١)وخلفت اليونان الرومان وهي المملكة الرابعة(دا٢: ٤٠) التي عظمت فوق الكل الا ان مؤرخي المسلمين اهملوها بالكلية رابعاً اما مملكة الفرس المتجددة لا يمكن ان تكون هي المملكة الرابعة بل يجب اما ان تكون المملكة الخامسة او الثالثة والنبوة تشير الى ما يحدث في عهد المملكة الرابعة (دا ٢: ٤٠ و٤٤ و٧: ٧ و١٩ و٢٣) اما كون اليونان المملكة الثالثة لا الرابعة كما زعم المسلمون فظاهر مما قيل عنها لانها غلبت الفرس وخلفتهم (دا٨: ٥و٧و٢١) وانقسمت اليونان الى اربعة اقسام من بعد موت اسكندر الكبير (دا ٨: ٨و٢٢) واخذ يتقلص ظلها حتى اندمجت في المملكة الرومانية التي شمل نفوذها العالم المتمدن في ذلك العصر وفي اثناء حكم الرومانيين ولد يسوع في اليهودية وكانت خاضعة لهم والمملكة التي اسسها يسوع حينئذ لم تكن من هذا العالم (يو١٨: ٣٦ولو١: ٣١—٣٣ ودا٧: ١٣و١٤و٢٧) بدليل انها لم تقم بالسيف كممالك العالم وعدا ذلك دعا المسيح نفسه ابن الانسان ومن هنا يظهر انه هو الشخص الذي رآه دانيال في رؤياه جالساً على سحاب السماء سائداً على كل الارض (دانيال٧: ١٣) ومملكته هي التي وصفها دانيال بالحجر الذي قطع بغير يدين وملأ كل الارض (دا ٢: ٤٥)ولما يأتي ثانياً الى ارضنا تسجد له كل ركبة (في٢: ٩—١١) ٠

(١٦) حب٣:٣ «الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران الخ» ظن المسلمون قوله والقدوس من جبل فاران اشارة الى محمد غير ان آخر الآية يقول « جلاله غطى السموات والارض امتلأت من تسبيحه» وهذا دليل صريح على انه ليس المراد بالقدوس محمد بل الله الذي يرجع اليه الكلام من أول الآية حيث يقول «الله جاء من تيمان الخ وعدا ذلك فقد اثبتنا ان جبل فاران واقع في شبه جزيرة سينا لا في مكة كما زعموا وتيمان اسم لاقليم ادوم وفيه مدينة قريبة من بترا وعلى مسيرة ايام قليلة من اريحا نحو الجنوب فجبل فاران واقاليم تيمان متقاربان وهما الى مدينة اورشليم اقرب بكثير منهما الى مكة وجاء في سفر التكوين (١١:٣٦ و١٩) ما يثبت تناسل تيمان من عيسو اصل الادوميين ويوافق على ذلك المؤرخون وعلماء الجغرافية كما يوافق عليه الانبياء الذين كتبوا عن هذه المدنية وهم ارميا (٧:٤٩و٢٠)وحزقيال (١٣:٢٥) وعاموس(١١:١و١٢) وعوبديا(٨و٩و١٠) فان كان اخواننا المسلمون لم يقتنعوا بهذه الادلة على ان تيمان لا علاقة لها بالمرة بمحمد ولا اسلامه وتمسكوا برأيهم فنقول حسناً اذا كانت تيمان لها علاقة بالاسلام فقد تنبأ عنها عوبديا بالويلات والدمار وبالتالي عن الاسلام الا اننا نحن المسيحيين لا شك عندنا بان تيمان ليست من الاسلام في شيء

(١٧) حج٢: ٧ «وازلزل كل الامم ويأتي مشتهى كل الامم فاملأ هذا البيت مجداً. قال رب الجنود» قالوا ان المراد «بمشتهى كل الامم» محمد وذلك لان «مشتهى» في اللغة العبرانية متصرفة من حمداه المتصرف منها محمد فنقول قد اثبتنا حتى في اللغة العربية نفسها ان ليس كل ما يتصرف من مادة «حمد» يشير الى محمد فمن باب اولى اللغة العبرانية ثم ان هذه الكلمة عينها «حمداه» وردت في نبوة دانيال (١١: ٣٧) بمعنى «شهوة النساء» وعليه فلا دليل منطقي يترتب على كلمة يشتق منها الفاظ ذات معاني مختلفة كما اننا لا نقدر أن نصدق ان محمداً كان مشتهى كل الامم وذلك لانه فتح البلاد بالسيف وكل فاتح بالسيف مكروه لا مشتهى خصوصاً عند الامة المغلوبة والمحتمل ان مشتهى الامم اما ان يكون (١) الذهب والفضة المذكورة في عدد ٨ او (٢) اختيار كل الامم الذي يدعوه الرسول بولس «اختيار النعمة» (رو١١: ٥) الذين منهم تألفت الكنيسة المسيحية او (٣) الرب يسوع المسيح نفسه الذي جاء الى هيكله ومن مدينة المقدس افاض على كل الامم سلاماً بواسطة ذبيحة نفسه التي قدمها كفارة عن خطايا العالم (حج٢: ٩ وملـ ٣: ٣ ومت١٢: ٦ و٤١ و٤٢ ولو٢٤: ٣٦ ويو١٤: ٢٧ و١٦: ٣٣ و٢٠: ١٩ و٢١ و٢٦) .

ثم ان الشيعة يحتجون ايضاً ببعض آيات من التوراة ظناً منهم انها نبوات عن محمد وان كان اهل السنة لا يوافقونهم عليها الا انه من المحتمل ان تكون لهم وجهة مهقولة في احتجاجهم ولهذا رأينا أن نسرد ما قالوه في هذا الصدد

(١٨) « واما اسمعيل فقد سمعت لك فيه ها انا اباركه واثمره واكثره كثيراً جداً اثني عشر رئيساً يلد واجعله أمة كبيرة» (تك٧ : ٢٠) قالوا ان قوله «اثني عشر رئيساً يلد» نبوة عن الاثني عشر اماماً الذين يعتبرونهم خلفاء محمد الشرعيين في الامامة ورداً على ذلك لا نقول شيئاً سوى ان نستلفت نظرهم الى هذا السفر عينه الذي اقتبسوا منه هذه الآية (١٣:٢٥—١٦) حيث نجد الوعد المشار اليه قد تم وولد اسمعيل اثني عشر رئيساً وذكرت اسماؤهم وبعدها قيل « هؤلاء هم بنو اسمعيل وهذه اسماؤهم بديارهم وحصونهم اثناعشر رئيساً حسب قبائلهم» وعليه فقد تمت هذه النبوة بدون احتياج الى محمد وخلفائه

(١٩) ار١٦:٤٦ «فهذا اليوم للسيد رب الجنود يوم نقمة للانتقام من مبغضيه فيأكل السيف ويشبع ويرتوي من دمهم لان للسيد رب الجنود ذبيحة في ارض الشمال عند نهر الفرات» قالوا ان قوله «للسيد رب الجنود ذبيحة الخ» نبوة عن قتل الحسين في واقعة كربلا زاعمين

ان الحسين مات كفارة عن الخطية ودحضاً لهذه الدعوى نقول اذا تأملنا في العدد الثاني من هذا الاصحاح عينه نجد الاشارة الى جيش فرعون نخو ملك مصر الذي كان على نهر الفرات في كركميش الذي ضربه نبوخذ ناصر ملك بابل في السنة الرابعة ليهوياقيم ملك يهوذا سنة ٦٠٦ق م ولا احد من المسلمين يقدر أن يدعي بان مذبحة المصريين وقد كانوا عبدة الاصنام حينئذ تكون كفارة عن الخطية فضلاً عن ان الكلمة المستعملة للدلالة على «ذبيحة» استعملت ايضاً للدلالة على مذبحة كما في هذه المواضع (اش ٣٤: ٦—٨ وحز ٣٩: ١٧—٢١ وصف ١: ٧ و٨) ونقول اخيراً لا يمكن ان يكون ارميا النبي عنى كربلا بقوله «ارض الشمال»

ولنأت الآن الى اسفار العهد الجديد ونفحص باعتناء ودقة الفصول التي يوردها المسلمون للاستدلال على نبوة محمد .

(١) مت ٣: ٢ «توبوا لانه قد اقترب ملكوت السموات» هذه كلمات يوحنا المعمدان وكررها الرب يسوع (مت ٤: ١٧) زعم المسلمون ان «ملكوت السموات» اشارة الى مملكة الاسلام (انظر مت ١٣: ٣١ و٣٢) واما القرآن فهو شريعة هذه المملكة الخ ونحن نقول يجب لفهم معنى ملكوت السموات او ملكوت الله ان نراجع المواضع التي

وردت فيها هذه العبارة في (مت ١٢ :٢٨) قال المسيح «ولكن ان كنت انا بروح الله اخرج الشياطين فقد اقبل عليكم ملكوت الله» وفي مر ٩ :١ قال يسوع لتلاميذه «الحق اقول لكم ان من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد اتى بقوة» وفي مواضع اخرى يصرح بان هذا الملكوت يبدأ به الى حد ما في حياته ثم يمتد بعد موته ويكمل بعد مجيئه ثانياً ليدين المسكونة بالعدل ويحكم بالحق والانصاف (دا ٧ :١٣ و١٤ ورؤ ١١ :١٥) واما في الوقت الحاضر فملكوت الله آخذ في الامتداد يومياً بواسطة الكرازة بالانجيل ودعوة الناس للدخول فيه (مت ٢٨ :٨ — ٢٠) واعلم انه ليس ملكوت السموات نظير ممالك العالم (يو ١٨ :٣٦) وانه لا يأتي بابهة وزخرفة عالمية (لو ١٧ :٢٠) ويخص «المساكين بالروح» (مت ٥ :٣) لا المتكبرين ولا عظماء هذا الدهر الذين يبطلون ولا يقدر احد كائناً من كان ان يتتبع لهذا الملكوت ما لم يولد من جديد ولادة روحية (يو ٣ :٣ و ٥) ومن المستحيل ان يدخل اليه الاشرار (١ كو ٦ :٩ و ١٠ وغل ٥ :٢٠ و٢١ اف ٥ :٥) ولهذه البراهين والادلة لا مناسبة بين المملكة التي اسسها محمد وخلفاؤه وبين ملكوت السموات

(٢) مت ١٧ :١١ «فاجاب يسوع وقال لهم ان ايليا يأتي اولاً

ويرد كل شيء» وظن بعضهم ان قوله «ايليا يأتي اولاً نبوة عن مجيء محمد الا اننا اذا قرأنا العدد التالي نجد ان ايليا قد اتى وعلى ذلك قوله «ايليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما ارادوا كذلك ابن الانسان ايضاً سوف يتألم منهم حينئذ فهم التلاميذ انه قال لهم عن يوحنا المعمدان» نعم ان يوحنا غير ايليا في شخصه لان التناسخ ليس من تعاليم الكتاب المقدس لهذا لما سئل يوحنا ان كان هو ايليا ام لا اجاب «لست انا» وانما كان سابق المسيح الذي يعد الطريق امامه «بروح ايليا وقوته» (لو ١:١٧) كما انبأ جبريل اباه زكريا (لو ١:١٩) وبهذا المعنى كما تنبأ ملاخي ايضاً (مل ٤:٥) كان يوحنا المعمدان ايليا النبي لان كليهما عاشا بكيفية واحدة (قابل مت ٣:٤ مع ١ مل ١٧:١—٦)

(٣) مت ٢٠:١—١٦ فسر المسلمون هذا المثل بكيفية غريبة لاثبات نبوة محمد فقالوا الفعلة الذين اشتغلوا من الصباح هم اليهود والذين اشتغلوا من الظهر هم النصارى والذين اشتغلوا في المساء هم المسلمون [١] ورداً على ذلك نقول ان «المساء» المشار اليه في عدده ٨ هو عبارة عن الوقت الذي ذكر في مت ١٩:٢٨ اي وقت «التجديد

---

(١) ان الذي فسر هذا المثل بهذه الكيفية هو محمد نفسه كما في البخاري وغيره اه مصحح

متى جلس ابن الانسان على كرسي مجده» كانه عنى بالمساء آخر الدهور الذي فيه يأتي الرب يسوع على سحاب السماء بقوة ومجد كثير لكي يدين الارض (مت ٢٤: ٣٠ و٣١ ومر ١٣: ٢٦ و٢٧ ولو ٢١: ٢٧؟ ورؤ ١: ٧ و٢٠: ١١—١٥) يظهر صحة تفسير المساء بما ذكرناه من مقدمة المثل وخاتمته لانه يبتدئ بتعليل السبب الذي من اجله يكون الاولون آخرين والآخرون اولين وينتهي بهذه النتيجة والآن قد اقبل المساء وكادت تغرب شمس الدهر الحاضر وكل من النصارى والمسلمين ينتظرون رجوع المسيح ثانياً ويتوقعون حدوث ذلك قريباً جداً ومتى جاء يملك على كل الارض الى ما شاء الله ويدين الاحياء والاموات عند ظهوره وملكوته (٢ تي ٤: ١) ومما تقدم يظهر ان لا فرصة في وقت المساء للعصر الاسلامي وبالتالي لا نبوة في المثل المذكور عن محمد

(٤) مت ٢١: ٣٣ – ٤٤ (انظر مر ١٢: ١—١١ ولو ٢٠: ٩—١٨)

قالوا ان المسيح تنبأ في هذا المثل عن مجيء محمد وقوة بطشه. سلموا ان رب البيت هو الله وان ابنه هو المسيح وانه تكلم عن نفسه كأن اليهود قتلوه وكان يجب عليهم ما دام المسيح قائل هذه الاقوال ان يسلموا بها ويقروا ان المسيح ابن الله وانه مات عن خطايا العالم لو

اقروا بذلك ما كان اغناهم عن البحث في شؤون محمد ولكن اذا كانوا لا يسلمون ان المسيح هو الضارب لهذا المثل فمن العبث أن يحتجوا بكلام يعتقدون بطلانه ومما يجب ملاحظته في هذا المثل انه من بعد ارسال الابن لم يرسل رسول آخر وحيث انهم سلموا ان المرسلين الاولين كانوا خداماً وعبيداً لرب البيت كان الرسول الاخير الابن فليس من المعقول انه من بعد ما ارسل الابن يمشي القهقرى ويرسل العبيد ومن هنا يظهر بطلان دعواهم مرة أخرى عدا ذلك فان المسيح اقتبس هنا خبر «الحجر الذي رفضه البناؤون (مز ١٨ : ٢٢) وان بطرس الرسول صرح بان صاحب سفر المزامير عنى بالحجر الذي رفضه البناؤون المسيح نفسه حيث يقول «فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب اسرائيل انه باسم يسوع الناصري الذي صلبتموه انتم الذي اقامه الله من الاموات بذاك وقف هذا امامكم صحيحاً هذا هو الحجر الذي احتقرتموه ايها البناؤون الذي صار رأس الزاوية» (اع ٤ : ١٠ و ١١ و ١ بط ٢ : ٤ — ٨) وعليه فالبناؤون كانوا يهود عصره لا ابرهيم ولا اسمعيل اللذين بنيا الكعبة على زعمهم وقال المثل خطاباً لليهود «ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل اثماره» (مت ٢١ : ٤٣) قالوا معنى هذا الكلام هو ان يؤخذ ملكوت الله من

اليهود ويعطى للاسمعيليين الا ان العهد الجديد يبين انه يعطى للذين يؤمنون بالمسيح ايماناً حقيقياً الذين هم «جنس مختار وكهنوت ملوكي امة مقدسة شعب اقتناء» وقال لهم «لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة الى نوره العجيب الذين قبلاً لم تكونوا شعباً واما الآن فانتم شعب الله الذين كنتم غير مرحومين واما الآن فمرحومون» (١ بط٢:٩و١٠) وهنا تلميح لطيف الى الاثمار التي يطلبها رب البيت من الامة التي تتولى الكرم وورد ذلك باكثر تصريح في كلام الرسول عن المسيح حيث يقول «الذي بذل نفسه لاجلنا لكي يفدينا من كل اثم ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في اعمال حسنة» (تي٢:١٤ وغل٥:٢٢—٢٤) والى هنا انتهينا من اظهار الامة التي اعطي لها الكرم ألا وهي الكنيسة المسيحية والكرم ملكوت الله (مت٢١:٤٣ يشرح عدد٤١) وعليه فلا اشارة في هذا المثل الى محمد ولا أمته كما انه قد ثبت ان الحجر الذي رفضه البناؤون هو المسيح نفسه لا الحجر الاسود الذى بحائط الكعبة ولا محمد ولا هاجر

واما مقاومة المسيح وعدم الرضوخ له فأبان المثل انه هو الامر المثير لسخط الله وحلول نقمته على اعدائه وقد تم شيء من ذلك عند خراب اورشليم وتمثيل الرومان باليهود تمثيلاً قظيعاً في سنة ٧٠

للميلاد او بعد صلب المسيح بنحوار بعين سنة وظن بعض المسلمين ان المراد برب البيت المشار اليه في المثل هو محمد ولكن ذلك ما لا يمكن اثباته لان المسيح في عدد ٣٧ بحسب ما جاء في المثل كان ابن رب البيت ولا يتصور احد ان المسيح ابن محمد وعليه فلا يمكن تطبيق هذا المثل على ما زعمه المسلمون واثبات دعواهم الا بثلاثة اشياء الاول تحريف المثل الثاني اغفال القرينة وسياق الكلام والثالث اغفال النصوص الكثيرة الواردة في اسفار العهد القديم والعهد الجديد

(٥) «وكان يكرز قائلاً يأتي بعدي من هو اقوى مني الذي لست اهلاً ان انحني واحل سيور حذائه» (مر ١:٧) قالوا ان الانجيل كلام المسيح وهذه الآية من الانجيل فهي من كلام المسيح وعليه يكون المسيح انبأ بمجيء نبي افضل منه بكثير هو محمد. من تأمل هذه الاقوال يعلم قصور المسلمين وعجزهم الكلي عن ان يأتوا بدليل من الكتاب على اثبات نبوة نبيهم وذلك لان عدد ٦ اي ما قبل آية الاستدلال يصرح باسم القائل لها ألا وهو يوحنا المعمدان لا يسوع وصرح يوحنا في (يو ١:٢٦—٣٤) ان الآتي بعده هو المسيح لا محمد ومن ذلك قوله «وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً اليه فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي

رجل صار قدامي لانه كان قبلي » (يو ١:٢٩و٣٠ انظر مت٣:١١—١٤ ولو٣:١٦و١٧) فاذا قيل ان يسوع كان معاصراً ليوحنا فلا يصح ان يقول عنه انه يأتي بعده فنجيب وان كان معاصراً له الا انه لم يبدأ بخدمته كرسول الامن بعد طرح يوحنا في السجن (مر١:١٤ ومت ٤:١٢و١٧) وانتهاء خدمته لان هيرودس ملك اليهود امر بقطع رأسه

(٦) يو ١:٢١ «فسألوه اذاً ماذا . ايليا انت.فقال لست انا. النبي انت فاجاب لا » قال المسلمون ان نبيهم قد ذكر في هذه الآية وذلك لان اليهود سألوا يوحنا المعمدان متحرين عن ثلاثة انبياء بالتوالي المسيح وايليا والنبي ولم يخالفهم في ماسألوا عنه فاستنتجوا من ذلك ان النبي المشار اليه هنا لا هو ايليا ولا هو المسيح بل محمد كذلك النبي الذي تنبأ عنه موسى (تث١٨:١٨) هو محمد لا المسيح ولا ايليا ورداً عليهم نقول اما من حيث النبي الذي كتب عنه موسى (تث١٨:١٨) فقد اثبتنا في ماتقدم انه لا يمكن ان يكون محمداً وانما هو المسيح راجع ذلك في موضعه وعليه فالنبي المشار اليه في سؤال اليهود ليوحنا المعمدان هو المسيح بذاته وسأل اليهود عن الثلاثة مبتدئين بالاخير الى الاول باعتبار ترتيب زمان ظهورهم فقالوا ليوحنا «انت المسيح» ظناً منهم ربما يكون اياه فلما انكر يوحنا كونه المسيح

عادوا فسألوه ان كان هو سابقه ايليا (مل٤: ٥ ومت ١٧ : ١٠ ومر٩: ١١) فانكر ايضاً كونه ايليا بالذات لانهم كانوا ينتظرون ان يرجع ايليا بنفسه الى الارض في آخر الزمان مع ان يوحنا وان لم يكن ايليا بالذات لكنه جاء بروحه وقوته لاعداد طريق المسيح كما تقدم الكلام (راجع مل ٤: ٥ بالمقابلة مع مت ١١: ١٤) ولما لم يفهم اليهود من هو يوحنا المعمدان اذا لم يكن المسيح ولا ايليا حاروا في انفسهم والتجأوا الى رأي ارتآه بعض اليهود وهو ان النبي الذي كتب عنه موسى هو سابق آخر للمسيح وليس من المعقول ولا المحتمل ان يكون سؤالهم ليوحنا عن نبي يأتي بعد المسيح بمئات من السنين حالة كون المسيح نفسه لم يكن قد ظهر بعد ولهذا يلزم ان يكون سؤالهم اما عن المسيح او احد سابقيه لا عن نبي يأتي بعده .

(٧) يو٤: ٢١ «قال لها يسوع يا امرأة صدقيني انه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في اورشليم تسجدون للآب» بنى بعض المسلمين على هذه الآية ان اورشليم من ذلك الوقت فصاعداً لا تكون قبلة للمصلين ويحل محلها الكعبة الا ان عدد ٢٣ و٢٤ التاليين لهذه الآية يظهران ما قصده المسيح بقوله «لا في هذا الجبل ولا في اورشليم تسجدون للآب» فانه علمنا ان العبادة التي تحوز القبول عند الله

لا تتوقف على المكان التي نقدم فيه بل تتوقف على حالة قلب العابد وقضى قضاء مبرماً على كل ما يقال له قبلة للصلاة بعد ذلك التاريخ

(٨) يو ١٤: ٣٠ «لا اتكلم ايضاً معكم كثيراً لان رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيّ شيء» قال المسلمون ان رئيس العالم الذي بشر بمجيئه المسيح انما هو محمد ورداً عليهم نقول يظهر من سياق الكلام والقرينة ان المسيح لم يعن برئيس العالم هنا نبياً ولا رسولاً بل عنى ابليس بدليل قوله «ليس له فيّ شيء» فان هذه العبارة لا تشير الى حبيب موال كشأن النبي الى زميله النبي بل تشير الى عدو مقاوم وورد في مواضع كثيرة من الكتاب المقدس ذكر ابليس موسوماً بالقاب فخمة من ذلك قوله «الآن دينونة هذا العالم الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً» (يو ١٢: ٣١) وقوله «الذين فيهم اله هذا الدهر قد اعمى اذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم انارة انجيل مجد المسيح الخ» (٢ كو ٤: ٤) ودعي ابليس «رئيس سلطان الهواء الروح الذي يعمل الآن في ابناء المعصية» (اف ٢: ٢ و٦: ١١ و١٢)

(٩) (يو ١٤: ١٦ و١٧ و٢٦ و١٥: ٢٦ و١٦: ١٣ الخ) يجزم المسلمون ان كلمة البارقليط المترجمة «المعزي» يجب ان تترجم محمد وعليه يكون المسيح تنبأ عن محمد في هذه الآيات ويقولون ان القرآن الذي جاء

به هو من عند جبريل وهو عندهم الروح الامين اي الروح القدس وانه شهد للمسيح (يو ١٥ : ٢٦ ومجده يو ١٦ : ١٤) كما مجده القرآن وذلك لان القرآن رفع مقام المسيح كمولود من عذراء وكنبي ورسول مؤيد بالمعجزات والآيات وقال انه صعد الى السماء حياً وان الله آتاه الانجيل ونفى عنه البنوة لله التي زعمتها النصارى الخ وقالوا ايضاً ان النصارى الاولين فهموا من اقوال المسيح بخصوص ارسال البارقليط ان نبياً آخر عظيماً سيأتي بعده بدليل ان رجلاً يسمى ماني الفارسي ادعى انه الروح القدس بعد المسيح ببضعة قرون وراجت دعوته عند بعضهم استناداً على هذه النبوة الى آخر ما قالوا . اما نحن فنقول ليس احد خبيراً بالانجيل يقدر ان يستنتج من كلام المسيح عن ارسال الروح ما استنتجه اخواننا مما ورد في (يو ١٤ و١٥ و١٦) وذلك لما يأتي . اولاً ان كلمة بارقليط لا تعني «محمداً» بل تعني «المعزي» او «المؤيد» كما في قوله «وايدناه (المسيح) بروح القدس» (قرآن) او «الوكيل» وهذه لا تناسب محمداً مطلقاً لان المعنى الاول اي المعزي لا يلائم حامل السيف بل هما ضدان والمعنيين الاخيرين «المؤيد والوكيل» لا يصح اسنادهما الى مخلوق كائن ما كان لانهما من القاب الله سبحانه وتعالى كما ورد في القرآن «وما ارسلناك عليهم وكيلاً »

(سورة الاسرى عدد٥٥ وسورة النساء عدد٨٠. ثانياً ان كلمة البارقليط لم تستعمل في اسفار العهد الجديد الا للدلالة على الروح القدس (يو ١٦:١٤و١٧و٢٦ و١٥: ٢٦ و١٦: ١٣) وجاءت ايضاً للتاميح الى المسيح (يوحنا ١٤: ١٦ وانظر ١يو٢: ١) . ثالثاً ان البارقليط حسبما ورد في هذه الآيات لا يمكن ان يكون انساناً ذا روح وجسد بل هو روح محض غير منظور روح الحق الذي عند ما تكلم المسيح عنه بانه يأتي كان اي الروح حينئذ ما كثاً مع التلاميذ (يوحنا١٤: ١٧ و١٦: ١٤). رابعاً ان الذي يرسله هو المسيح كما في (يو١٥: ٢٦و١٦: ١٧) واخواننا المسلمون لا يقبلون على محمد ان يكون رسول المسيح. خامساً كان محمد رجل حرب وغزو يفتح البلاد بسيفه ويدوخ العباد بجيشه واما الروح القدس فعمله ان يبكت العالم على الخطية وجوهر الخطية عدم الايمان بالمسيح (يو ١٦: ٩) فما اعظم الفرق . سادساً قيل عن الروح القدس انه متى جاء يمجد المسيح لا يمجد نفسه لانه يأخذ مما للمسيح ويخبرنا (يو١٦: ١٤و١٥). سابعاً ان محمداً والقرآن ينكران بنوة المسيح لله وقد صرح انه ابن الله بقسم (في مر ١٤: ٦١) وكذا ينكران لاهوته مع كونه مثبوتاً في كل من اسفار العهد القديم (اش٩: ٦ومز ٤٥: ٦) والعهد الجديد (يو١٠: ٣٠وعب١) وبناء عليه لا يكون محمد

وقرآنه ممجدين للمسيح بل مضادين له على خط مستقيم وبالتالي لا يكون محمد الروح القدس كما زعموا. ثامناً ان محمداً وقرآنه ينكران صلب المسيح الذي به صار التكفير عن خطايا العالم وبهذا قد انكرا حقيقة جوهرية من اعظم حقائق الكتاب المقدس(انظر مز٢٢واش ١٣:٥٢—٥٣ كله ومت٢٠:١٩ الخ) التي يترتب عليها خلاص الجنس البشري. تاسعاً ان انكار صلب المسيح يترتب عليه انكار قيامته التي هي رجاء جميع المسيحيين (١كو١٥:١٧—١٩) وحيث ان محمداً يخالف الانجيل في هذه النقط الرئيسية وغيرها ويعارض التعاليم التي امر رسله ان يكرزوا بها للعالم (مت ٢٨:٢٠) فلا يصح ان يقال عنه انه متمم لنبوة ارسال الروح القدس الذي انما جاء ليذكر التلاميذ بكل ما قاله لهم المسيح (يو ١٤:٢٦) . عاشراً ان احتجاجهم بما ادعاه ماني من انه هو الروح القدس وتطبيقهم دعوة محمد على قول ماني دعوة باطلة وشاهد زور واذا كان احد منا يضاهي بين محمد وماني و بين قرآن الاول وكتاب الآخر الذي ادعى كما ادعى محمد انه جاء به من السماء وانه ليس في طاقة البشر ان يأتوا بمثله ولم يأتوا بمثله لجرحنا احساسات اخواننا المسلمين واغضبناهم ولكن ليكن معلوماً ان كاتب هذه السطور يتحاشى على قدر امكانه ان يبدي مضاهاة كهذه احتفاظاً بالسلام .

واعلم ان المطلعين من المسيحيين رفضوا دعوة ماني بانه الروح القدس لجملة ادلة منها ان النبوات المتعلقة بالبارقليط لا تشير الى انسان بل الى روح. ومنها ان هذه النبوات تمت بعد صعود المسيح ببضعة ايام وذلك بحلول الروح القدس على المائة والعشرين مسيحياً الذين كانوا يسبحون الله في العلية في مدينة اورشليم واخذوا يتكلمون بألسنة اخرى كما اعطاهم الروح القدس ان ينطقوا (راجع اع ١:٢—٣٦) ومن هنا يظهر ان تعليم العهد الجديد في عصر ماني هو كما في العصر الحاضر والمسيح وهو على الارض اخبر بظهور انبياء كذبة وذلك في مواضع كثيرة من الانجيل وحذرنا من الانقياد لاي نبي يأتي بعده (مت ٢٤:١١و٢٤ ومر١٣:٢٢ قابل مت٧:١٥) لهذا عندما ظهر ماني وادعى النبوة رفضه مسيحيو عصره بناء على ما سبق التحذير منه في الانجيل واعتبروه نبياً كذاباً كما يعتبره اخواننا المسلمون.

حادي عشر ان البارقليط قيل عنه انه سيسكن في قلوب المسيحيين الحقيقيين (يو ١٤:١٦ قابل ١كو ٦:١٩ ورو ٨:٩) وهذا لا يمكن ان يصدق على محمد. ثاني عشر قد وعد المسيح بان الروح القدس (يو١٤: ٢٦) يجب ان ينزل من السماء على التلاميذ بعد صعوده بايام قليلة وامرهم ان لا يباشروا خدماتهم كرسل (مت٢٨:١٩—٢٠) حتى يحل عليهم

الروح القدس (اع ١ :٢٥) و بناء على امره مكثوا في اورشليم الى ان تم هذا الوعد (انظر لو ٢٤ :٤٩ واع ١ :٤و٨و٢ :١ — ٣٦) فهل تظنون ان مراد المسيح ان ينتظر تلاميذه بدون ان يمارسوا عملهم مدة ستمائة سنة الى ان يأتي محمد؟ هذا محال وعليه فلا تشير النبوة هنا الى محمد بوجه من الوجوه بل الى الذي تم يوم الخمسين بعد صعود المسيح بايام قليلة كما قدمنا ذكره (انظر اع ص٢) ومن بعد ذلك الوقت نالت جماعة الرسل قوة فائقة وحكمة واسعة وجالوا يكرزون بالانجيل في الارض كلها

(١٠) ١يو ٤ :٢و٣ « بهذا تعرفون روح الله . كل روح يعترف يسوع المسيح انه قد جاء في الجسد فهو من الله وكل روح لا يعترف يسوع المسيح انه قد جاء في الجسد فليس من الله» ظن بعض المسلمين ان قوله «روح الله» يشير الى محمد بدليل انه اعترف بان المسيح قد جاء في الجسد كما تقول الآية ومعنى ذلك عندهم هو حيث ان محمداً انكر لاهوت المسيح وصرح انه انسان كسائر الناس يكون قد اعترف بان المسيح قد جاء في الجسد مع ان قوله «جاء في الجسد» يراد به نفي ضلالة ظهرت في ذلك الوقت الا وهي ان جسد المسيح لم يكن جسداً حقيقياً بل خيالياً لانهم اذ كانوا يعتقدون بانه اله شق عليهم ان يؤمنوا ايضاً بانه ذو جسد حقيقي وعللوا اعراضه الجسدية المذكورة

في الانجيل مثل كونه اكل وشرب وتعب ونام واستيقظ ومات وقام الخ من قبيل التصورات الخيالية التي لا وجود لها في الحقيقة فاذا قيل لهم كان المسيح يأكل الطعام فكيف لا يكون جاء في الجسد اجابوك لم يأكل المسيح ولم يشرب حقيقة ولكن شبه لهم واذا قيل لهم كان المسيح ينام وينتبه من النوم قالوا كلا بل شبه لهم واذا قيل مات المسيح وقام قالوا لم يمت حقيقة ولم يقم ولكن شبه لهم فدفعاً لشر هذه الضلالة انذرنا الوحي على لسان يوحنا الرسول بان كل من يعترف بان المسيح جاء في الجسد اي يعترف بان اعراضه الجسدية التي ذكرت في الانجيل كانت حقيقية فهو من الله وكل من ينكر كونه جاء في الجسد اي ينكر كون اعراضه الجسدية كانت حقيقية فليس من الله ومحمد انكر موت المسيح وهو من اعظم اعراضه الجسدية وكانت طريقة انكاره مثل طريقة اصحاب تلك الضلالة بمعنى انه حول واقعة الحال الى واقعة خيال فقال ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فتأمل

(١١) يه ١٤و١٥ «وتنبأ عن هؤلاء ايضاً اخنوخ السابع من آدم قائلاً هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم على جميع اعمال فجورهم التي فجروا بها الخ» تجرأ بعض المسلمين وقالوا ان «الرب» في هذه العبارة يراد به محمد وقوله

«يصنع دينونة» يشير الى كونه متقلداً بالسيف ومثيراً للحرب على اعدائه ولكن لا مسلم حقيقي يقدر أن يسند لقب «الرب» الى مخلوق كائناً من كان لانه من القاب الله (انظر سورة التوبة آية ٢٢) والحقيقة ان اخنوخ تنبأ هنا عن المسيح باعتبار مجيئه الثاني عندما يملك على الارض ودا ٧:١٣ و١٤ ومت ٢٤ : ٢٩ — ٥١ و٢ تس ١:٦—١٠ ورؤ ١:٧ و١٩:١١—٢١) واسم الرب من القاب المسيح التي كثر اسنادها اليه في اسفار العهد الجديد واسندت اليه بحق كما نعلم من في ٢:٩—١١ (١٢) رؤ ٢: ٢٦—٢٩ « من يغلب ويحفظ اعمالي الى النهاية فسأعطيه سلطاناً على الامم فيرعاهم بقضيب من حديد كما تكسر آنية من خزف كما اخذت انا ايضاً من عند ابي واعطيه كوكب الصبح الخ» قالوا ان هذه نبوة عن محمد بدليل انه حارب الامم بسيفه واخضع كثيراً منهم تحت سلطانه فان صحت دعواهم ينتج ان محمداً استمد هذه القوة والسلطان من المسيح جزاء له على تمسكه بوصاياه وحفظه اعماله الى النهاية وبالتالي كان مقامه دون مقام المسيح الا ان اخواننا المسلمين لا يرضيهم ذلك ولا يرضيهم ان يكون مقامه كمقام المسيح بل أعظم منه كيف لا وهو عندهم خاتم الانبياء وسيد المرسلين والحقيقة هي ان من يراجع الاصحاح الثاني والثالث من هذا السفر يجد ان المتكلم هو

المسيح يحرض اعضاء الكنائس السبع على الغلبة واعداً من يغلب باحسن الجزاء وكرر ذلك سبع مرات فلا يشير الى محمد ولكنه يتكلم كلاماً عمومياً لترغيب شعبه في الغلبة لا غلبة السيف والسهم بل غلبة الخطية والجسد والعالم والشيطان .

الى هنا انتهينا من النبوات الواردة في اسفار العهد القديم والعهد الجديد التي خالها المسلمون تشير الى محمد ورأينا ان لا نبوة منها تشير اليه وعدا ذلك علمنا من الانجيل تمام العلم ان لا كتاب يلي الانجيل ولا نبي يأتي بعد المسيح والعصر الوحيد الآتي هو رجوع المسيح من السماء ليملك على الارض الملك الدائم وعلى ما تقدم سقطت دعوى محمد بالرسالة من الله سقوطاً ليس من ورائه مجال للشك .

حقاً ان بعضاً من المسلمين اندهشوا عندما قرأوا عن الجراد في (رؤ٩:٣و٤) حيث يقول «وقيل له ان لا يضر عشب الارض ولا شيئاً اخضر ولا شجرة ما الا الناس فقط الذين ليس لهم ختم الله على جباههم» لانهم يقصون علينا انه حدث في زمن خلافة ابي بكر الصديق انه زود جنوده عندما ساروا لفتح الشام باوامر تمت معها هذه النبوة حرفياً وانه مما يستحق الاعتبار ان نجد اثنين من مؤرخي المسلمين لا يعلمان غالباً بهذه النبوة يرويان لنا حديثاً يذكرنا بها قال

جلال الدين الاسيوطي لما بعث ابو بكر الصديق زياد ابن ابي سفيان لفتح الشام امره ان لا يقتل امرأة ولا طفلا ولا شيخاً هرماً ولا يقطع اشجاراً منتجة اثماراً ولا يتلف ارضاً مزروعة ولا ينحر شاة ولا دابة الا ما دعت اليه حاجة الطعام ولا يقلع نخلة منتجة ولا يحرقها قبل قلعها ولا يغدر باحد ولا يخشى احداً وروى الواقدي الرواية عينها باكثر تفصيل قال امر ابو بكر الصديق يزيد ابن ابي سفيان انه اذا ظفر باعدائه لا يذبح ولداً ولا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ولا يقرب نخلة ولا يحرق مزرعة ولا يقلع اشجاراً مثمرة ولا ينحر ماشية الا لضرورة الطعام ولا يغير ما اتفق عليه ولا ينقض مخالفة صلح واذا مر باديرة الرهبان الذين انقطعوا لعبادة الله يدعهم وما انقطعوا اليه لا يقتلهم ولا يهدم اديرتهم واما اذا مر بتلك الطائفة التي تعبد الشيطان والصلبان ذوي الرؤوس المحلوقة من الوسط يضربهم بسيفه الى ان يعتنقوا دين الاسلام او يدفعوا الجزية وهم صاغرون .

لا شك ان المشابهة عظيمة بين ما ورد في سفر الرؤيا وبين ما امر به ابو بكر جنوده ولكن لم ترد اشارة الى نبي ما في ذلك الموضع مما يؤيد دعوة محمد كما انه لا مسلم خبير يقدر ان يستشهد بالآيات المذكورة ولو سلمنا انها نبوة عما تم بعد موت محمد بجملة سنين

الفصل الثالث

هل يمكن أن تكون فصاحة القرآن معجزة تدل على انه موحى به من الله ؟

يجزم اخواننا المسلمون ان فصاحة القرآن وطلاوة عباراته بالغة حد الاعجاز حتى انه يكفي لاثبات رسالة محمد سيما وانه لم يكن يعرف الكتابة ولا القراءة فمن المحال أن يكون قادراً على الاتيان به ما لم يكن موحى به من الله ويقولون لكل نبي آية بينة تدل على ان رسالته من عند الله الا ان الآيات تنوعت حسب أحوال الزمان الذي جاءت فيه الانبياء ففي زمن موسى مثلاً بلغ السحر والسحراء مكانة عظمى عند المصريين فأوتي موسى من الآيات ما يشبه السحر في ظاهره وهو ليس بسحر في الحقيقة بل معجز للسحراء وفي زمن المسيح بلغ الطب مبلغاً عظيماً فكانت آيات المسيح مشبهة بالطب ولكنها تفوقه وفي زمن محمد كانت الفصاحة هي الصناعة الرائجة بين العرب فأوتي القرآن معجزاً لفصحاء عصره وشعرائه ومن ادلتهم على اعجاز القرآن ما جاء فيه من تحدي العرب على أن يأتوا بكتاب مثله أو سورة منه كما في سورة البقرة آية ٢٣ ومن ذلك قوله «قل لئن اجتمعت

الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» (سورة الاسرى آية ٨٨) .

ورداً عليهم نقول اذا فحصنا دعواهم باعجاز القرآن فحصاً دقيقاً خليقاًباهمية الموضوع لا نجد دليلاً على صحة دعواهم لانه كم من الكتب الشهيرة في العالم ألّفها قوم لا يعرفون القراءة ولا الكتابة وقد جاءت لا مثيل لها ومن هذه الكتب كتاب وضعه ريج فيدا في بلاد الهند وضعه بين سنة ١٠٠٠و١٥٠٠ق م قبل أن تعرف صناعة الكتابة في تلك البلاد بزمن طويل يزيد حجمه عن القرآن صنفه اكثر من واحد الا انهم لم يكن لهم كاتب يملون عليه آيات كتابهم وفي اللغة اليونانية القديمة قصيدتان في غاية الفصاحة وهما الالياذة والاودسة(١) منسوبتان في الغالب الى شاعر اعمى اسمه هوميروس وكانت العميان في سالف الزمان لا يعرفون القراءة ولا الكتابة ولا كانت لديهم الوسائل التي لديهم اليوم وليس ثمت وجه للظن أن يكون أملى قصيدتيه على بعض الكتبة لانه كان فقير الحال يحصل قوت يومه بالتجوال على البيوت يتلو أشعاره . على انه لم يقم دليل قاطع على ان محمداً كما زعموا غير عالم بالقراءة والكتابة وغاية ما أوردوه لاثبات

(١) Iliad—Odyssev

هذه الدعوى هو ما وصفه به القرآن بانه النبي الامي (سورة الاعراف ١٥٦ و١٥٧) الا ان هذا الوصف لا يثبت عدم معرفته القراءة والكتابة لموصوفه بل يثبت كونه نبياً من الامم[1] لا من بني اسرائيل وذلك واضح من سورة آل عمران آية ٢٠ في قوله « وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الخ » ومن ذلك ترى ان العرب مدعوون هنا بالاميين فقال النبي الامي كما نقول اليوم النبي العربي وكانت عادة الانبياء أن يأتوا من اهل الكتاب اي بني اسرائيل

فلما ادعى محمد النبوة وكان من غير اهل الكتاب دعوه النبي الامي اي من الامم كما تقدم تمييزاً له عن بقية الانبياء الذين كانوا جميعاً من بني اسرائيل. وبخلاف ذلك قد علم المطلعون من المسلمين بالروايات المنسوبة الى البخاري ومسلم التي تنفي عن محمد وصمة الجهل بالقراءة والكتابة من ذلك ما ينسبونه اليه في معاهدة الحديبية من انه اخذ القلم وضرب على توقيع علي بن ابي طالب بالنيابة عنه تحت امضاء «رسول الله» وكتب «ابن عبد الله» ومما ينسبونه اليه انه لما احتضر طلب أن يأتوه بادوات الكتابة ليوصي بمن يخلفه وقبل ان يأتوه بها

(١) لقد قال بمثل ذلك بعض محققي المسلمين انظر السيرة النبوية لزيني دحلان اه مصحح

خاتته قواه كما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس.وبما ان هـذه الروايات موضوع نزاع بين اهل السنة والشيعة فلا نجزم بصحتها غير اننا نقول انـ مجرد وجودها مسندة الى ائمة الحديث أمر يستحق الاعتبار وخصوصاً لان لا شيء فيها بعيد الوقوع ٠

واعلم ان فن الكتابة كان معلوماً عند العرب في عصر محمد لانه معلوم بالتأكيد انه لما وقعت بعض اهالي مكة اسرى عند اهالي المدينة افتدوا انفسهم منهم بان يعلموهم الكتابة ثم ان وجود المعلقات السبع (سواءكانت معلقة في الكعبة كما ظن جلال الدين الاسيوطي ام محفوظة في خزانة عكاظ كما قال ابو جعفر احمد ابن اسمعيل بن نواس) دليل على ان الكتابة كانت امراً عادياً بين مؤلفي ذلك العصر والذين قبلهم سواء كانوا يكتبون مؤلفاتهم بانفسهم او يكتبها كتبة آخرون على ذمتهم ٠

وان قلنا ان محمداً كان يعرف الكتابة ولكنه لم يحسنها بحيث يتهيأ له ان يكتب كتاباً فلا يؤثر ذلك في أهمية القرآن لاننا نعلم من اقوال السالفين ان زيداً بن ثابت كان من جملة الكتبة الذين استخدمهم محمد وكانوا يكتبون كما يملي عليهم على العظام وعلى الخشب

والخزف بالحرف الكوفي [١] خلواً من نقط الوقف وحركات الضبط وعلى مدى الايام تبين لعلماء التفسير اختلاف القراآت القرآنية الذي نتج عن نقص الابجدية الكوفية ولي هنا سؤال أمكتوب القرآن بالحرف الكوفي في اللوح المحفوظ ام بغيره على ان الحرف الكوفي وان كان قديماً الا انه مستخرج من الابجدية السريانية وتلك من الفينيقية .

وكان اذا املا محمد آية على الكاتب يسارع الى حفظها المتدينون من قومه ولكن ذلك لا يمنع من ان بعض الآيات لم يحفظها احد او مات الذين حفظوها. جاء في صحيح مسلم ان عائشة قالت ما معناه مما انزل في القرآن عشر آيات في الرضاعة نهي عنها ونسخت بخمس آيات آخر ومما لا شك فيه ان عائشة سمعت هذه الآيات في زمانها من بعض القراء ولا نجدها اليوم في القرآن

وروى مسلم عن عمر بن الخطاب قال ما معناه ان الله ارسل محمداً بالحق وانزل عليه الكتاب وبما ان آية الرجم مما انزله الله في هذا الكتاب رجم رسول الله ورجمنا من بعده والرجم حد الزاني وكان

(١) هذا خلاف المشهور لان الحرف الكوفي لم يكن يعرف الا بعد وفاة محمد اه مصحح

نص آية الرجم هكذا «والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة»

ولكنا لا نجد هذه الآية في القرآن المتداول اليوم والذي نجده ان الزنى حده الجلد مائة جلدة (انظر سورة النور ٢—٤) وروى ابن ماجة قالت عائشة ان آية الرجم والرضاعة نزلتا . . . وكان القرطاس المكتوبتان فيه تحت فراشي ومات رسول الله حينئذ وفيما انا منشغلة بموته دخلت بهيمة واكلت القرطاس وروى مسلم عن ابي موسى الاشعري انه قال لخمسمائة من حفظة القرآن في البصرة انا اعتدنا ان نتلو سورة تضاهي سورة براءة في الطول والشدة وقد نسيتها ولم يبق منها في بالي غير هذه الكلمات «توكات الخ» واعتدنا ان نتلو سورة على المسبحة ونسيتها ما عدا قوله «ايها الذين الخ» .

ومن المشهور ان ابياً زاد على نسخة قرآنه سورتين قصيرتين تحت اسمين اعتباريين وهما سورة الخلع وسورة الخفض وتسمى الاخيرة ايضاً سورة القنوت لانه يؤكد انهما نزلتا في القرآن وحذفهما عثمان في حين ان ابن مسعود حذف سورة الفاتحة والمعوذتين من مصحفه وقال قوم من الشيعة كان في القرآن بعض الآيات المشيرة الى علي بن ابي طالب وحذفت عمداً من القرآن المتداول اليوم من ذلك في سورة النساء آية ١٣٦و١٦٤ وسورة المائدة آية ٧١ وسورة

الشعراء آية ٢٨٨ وقالوا ان في سورة آل عمران آية ١٠٦ ابدلت كلمة «أئمة» الاصلية بكلمة «امة» وفي سورة الفرقان آية ٧٤ ابدلت العبارة الاصلية «واجعل لنا من المتقين اماماً» بعبارة محدثة «واجعلنا للمتقين اماماً» وذكروا تغييرات اخرى في سورة يوسف آية ١٢ والمؤمنين آية ٣٩ احدثوها عمداً وقد سلم الامام فخر الدين الرازي ان في سورة هود آية ٢٠ تختلف القراءة عن مصحف علي ففي القرآن المتداول تقرأ هكذا «ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمة» وتقرأ في مصحف علي هكذا «ويتلوه شاهد منه اماماً ورحمة ومن قبله كتاب موسى» والفرق بين العبارتين خليق بالاعتبار عند الشيعة لما في العبارة الثانية من الاشارة الى علي باعتبار كونه هو الشاهد وهو الامام والرحمة وليس كتاب موسى الامام والرحمة كما في العبارة الاولى وقال آخرون ان سورة برمتها حذفت من القرآن بالقصد وتسمى سورة النورين واقتبسها الى آخرها مرزا محسن من كشمير بيلاد الهند في كتابه المسمى (دبستان مذاهب)

وليس غرضنا من ذكر شبهات الشيعة في ما اضيف الى القرآن وما حذف منه اثبات هذه الشبهات او نفيها ولكن حيث انهم قالوا ان القرآن معجزة لرسالة محمد صار من الواجب علينا الاشارة الى

ما قاله نفس علمائهم والثقة منهم في الزيادة والنقصان اللذين اعترياه دفعاً لدعوة الاعجاز

نتقدم الآن الى بيان المنهج الذي سلكوه لجمع متفرقات القرآن من سور وآيات الى كتاب واحد ونعتمد في التحري عن ذلك على المصادر الموثوق بها عند المسلمين انفسهم

«عن زيد بن ثابت قال ارسل اليّ ابو بكر بعد مقتل اهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده قال ابو بكر ان عمراً اتاني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن واني اخشى ان استحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن واني ارى ان تأمر بجمع القرآن قلت لعمر كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ص قال فقال عمر هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد قال ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ص فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان اثقل عليّ مما اخبرني به من جمع القرآن. قال قلت كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ص قال هو والله خير فلم يزل ابو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر ابي بكر وعمر. فتتبعت القرآن

اجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع ابي خزيمة الانصاري لم اجدها مع احد غيره لقد جاءكم رسول من انفسكم حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند ابي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر طول حياته ثم عند حفصة بنت عمر رواه البخاري كما في مشكاة المصابيح في آخر كتاب فضائل القرآن

وذكر هذه الرواية ما عدا الجملة الاخيرة جلال الدين السيوطي (انظر تاريخ الخلفاء طبعة لاهور سنة ١٣٠٤ للهجرة صحيفة ٥٣)

ومن المحتمل انه لم تكن وقتئذ نسخة كاملة للقرآن سوى تلك التي جمعها زيد واعتمدت كافة المسلمين في قرآنهم على حفظه في الصدور وتلاوته بالشفاه الا بعض اجزاء منه قد كتبت حسبما تلاها الحفظة في سبع قراآت . ولما اصبح القرآن في خطر الضياع والفساد والسريان الاختلال في جميع متونه انذر حذيفة ابن اليمان عثمان بن عفان بسوء العاقبة وذلك عندما كان منهمكاً في افتتاح بلاد الارمن واذربيجان وروى ذلك البخاري بما معناه يا امير المؤمنين تدارك المسلمين قبل ان يقع الاختلاف بينهم في القرآن كما اختلف من قبلهم اليهود والنصارى فارسل عثمان الى حفصة يقول لها ابعثي الينا بالصحف لننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فبعثتها اليه وعند ذلك انتدب الخليفة زيد ابن

ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الله بن الحارث
بن هشام فنسخوها وقال للثلاثة القرشيين ان اختلفتم مع زيد في شيء
من القرآن فاكتبوه بلغة قريش لانه نزل بلسانهم ففعلوا ذلك حتى اذا
نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وارسل
الى كل اقليم نسخة واصدر امراً ان كل قرآن خالف هذه النسخة
يحرق. قال شهاب اخبرني خارجة بن زيد بن ثابت انه سمع زيد بن
ثابت يقول لما نسخنا القرآن فقدت آية من سورة الاحزاب كنت
اسمعها من رسول الله صلعم وبعد التحري عنها وجدناها عند خزيمة
ابن ثابت الانصاري: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه»
فالحقناها بموضعها ومن ذلك يتضح وجود تنقيح في النسخ التي اصدرها
عثمان لما رأيت من الخلاف بينها وبين الصحف الاصلية التي كانت
عند حفصة وعدا ذلك فان صدور امر الخليفة بحرق النسخ القديمة
المخالفة لما استنسخه هو دليل آخر على وقوع الاختلاف في نسخ
القرآن ومما يزيد ذلك الدليل وضوحاً ان نسخة حفصة نفسها امر
بحرقها مروان عندما كان حاكماً على المدينة لما تحققه من الخلاف بينها
وبين ما استنسخه عنها عثمان وبالرغم عن هذه الوسائط المتناهية في
الشدة التي اتخذها حكام المسلمين الأول لتوحيد نسخة القرآن لم يزل

فيه بعض الاختلافات التي يعبرون عنها بالقراآت كما نعلم مما نقله الينا الائمة والمفسرون الراسخون في العلم ومنهم البيضاوي وانظر مثلاً تفسيره لسورة آل عمران آية ١٠٠ وسورة الانعام ٩١ وسورة مريم ٣٥ وسورة القصص ٤٨ وسورة الاحزاب ٦ وسورة سبا ١٨ وسورة ص ٢٢ الخ

الا انه من الوجه الآخر نقول ان السبب الرئيسي الذي نستنتج منه بقاء القرآن على ما كان عليه تقريباً بعد وفاة محمد هو انه تضمن اقوالاً كشفت الستار عن حياته الادبية مثل سورة الاحزاب ٣٧ و٣٨ و٤٩ — ٥٢) لانه من المحال ان يجترئ مسلم على ان يلصق بنبيه تلك الوصمة المشار اليها في هذه المواضع ما لم يكن اعترف بها هو نفسه وامر ان تدرج طي في كتابه الذي نزل عليه من السماء (على زعمه) وياحبذا لو اعترف بانها خطيئة اعترافاً صريحاً واستغفر ربه لكنه ادعى انه فعل مافعله بموجب تنزيل العزيز الحكيم «لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان امر الله مفعولاً » لهذا لم يخجل اتباعه ان يذكروا له تلك الحادثة في مادونوه من تاريخه وبالرغم عن الاعتذارات الكثيرة التي شفعوه بها لم يتبرر امام الناقدين المحققين فاجتنبوه واجتنبوا دينه

وليس بين علماء المسلمين اليوم من يستطيع أن يبرر القرآن ومحمداً من تلك القصة ومهما قالوا مدافعين لايقدرون ان يسكتوا لسان الضمير الحي عن التصريح بالحق ان لم يصرح الفم قالوا ان القرآن لمعجزة بل الآية الواحدة منه معجزة دالة على رسالة محمد الالهية وانه لا الملائكة ولا الانس ولا الجن يقدرون ان يأتوا بسورة منه ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وان كل كلمة منه خطت بالقلم في اللوح المحفوظ بجانب عرش الله قبل ان يبرأ البرايا بعصور كثيرة مع العلم بان القصة المشار اليها كانت من ضمنه ثم ان جبريل نزل به من عند العرش الى سماء الدنيا في ليلة القدر وبعد ذلك بلغه الى محمد شيئاً فشيئاً حسب مقتضيات الاحوال قال ابن خلدون تأييداً لهذا «اعلم ان القرآن انزل من السماء باللسان العربي على الاسلوب الذي كان مألوفاً عند العرب للاعراب عن افكارهم وانزل عليه باللفظ حسب مقتضيات الاحوال ببيان وحدانية الله وشرح الواجبات المفروضة على الانسان في هذه الدنيا» وقال في غير موضع «ويدلك هذا كله على ان القرآن من بين الكتب الالهية انما تلقاه نبينا صلوات الله وسلامه عليه متلواً كما هو بكلماته وتراكيبه بخلاف التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية فان الانبياء يتلقونها في حال الوحي

معاني ويعبرون عنها بعد رجوعهم الى الحالة البشرية بكلامهم المعتاد لهم ولذلك لم يكن فيها اعجاز» وعلى رأي هذا العالم يكون القرآن لفظاً ومعنى من عند الله بخلاف التوراة والانجيل فان معانيهما من عند الله واما الفاظهما فمن عند الانبياء والرسل الذين كتبوهما وعليه اذ اتضح لنا من البحث ان عبارة القرآن ليست من الاعجاز في شيء اوعلى الاقل لا دليل على اعجاز القرآن فلا يصح ان يرد علينا المسلم بقوله «كذلك عبارة التوراة والانجيل خالية من الاعجاز ولا يمكن أن تدل على كونهما صادرين من الله» لاننا لم ندع قط ان عبارة كتابنا تتضمن شيئاً من الاعجاز ولا ادعينا انها دليل على تنزيله من عند الله بل نقول عن كتابنا ما قاله ابن خلدون مما يدل على ان مسيحيي عصره والعصر الحاضر على رأي واحد من جهة اسفار الكتاب المقدس وهو ان كل كاتب من كتبته استعمل عباراته الخصوصية فمنهم من كتب شعراً فصيحاً بليغاً ومنهم من كتب نثراً بسيطاً فكانت المعاني من عند الله والتعبير من عند ذلك النبي أو الزبوري أو البشير أو المؤرخ كل حسبما امره الرب ان يكتب

ثم انه من المحقق الآن عند العلماء ان لسان قريش الذي كتب به القرآن انما هو لسان اهل مكة لا لسان اهل الجنة فان العربية كما

هو معلوم احدى اللغات السامية وهي كاخواتها العبرانية والارامية والحبشية والسريانية والاشورية وغيرها من اللغات التي هي اقل اهمية ونحن لا ننكر ان اللغة العربية احدى اللغات القديمة كما اننا نعترف بان القرآن في بعض فصوله فصيح العبارة وبليغ الاسلوب غير ان علماء اللغة اثبتوا اشتماله على كلمات غير عربية معدولة عن اللغات الاخرى. منها كلمة فرعون مأخوذة من اللسان المصري القديم وكلمتا آدم وعدن مأخوذتان من لغة قديمة تدعى اكاديان وابرهيم من لغة الاشوريين وهاروت وماروت والصراط وحور والجن والفردوس مأخوذة من لغة قدماء الفرس وتابوت وطاغوت وزكاة وملكوت من لغة السريان والحواريين من اللغة الايتوبية وحبر وسكينة وماعون وتوراة وجهنم من الفاظ اليهود والانجيل من لغة اليونان. وعليه فكلام القرآن ليس عربياً محضاً وحينئذ لا مانع من ان تكون هذه الكلمات الغير عربية مكتوبة في اللوح المحفوظ اسوة بكلماته العربية ما دام لها الفضل عليها في التعبير عن كثير من معاني القرآن. مع ان هذا يفتقر الى الاثبات وكما اشتمل القرآن على كلمات غير عربية اشتمل على تراكيب لو وردت في غيره من الكتب لعدها علماء النحو والبيان غلطات لامحالة وهي كثيرة نكتفي ببعضها: في سورة

البقرة[1] قوله أولاً « تلك عشرة كاملة » والصواب تلك عشر
وقال في سورة الاعراف وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطاً فانث العدد
وجمع المعدود والصواب التذكير في الاول والافراد في الثاني وقال
في سورة النساء (آية ١٦٠) لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون
الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر والصواب والمقيمون الصلاة

وقال في سورة المائدة (آية ٧٣) ان الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا
خوف عليهم ولا هم يحزنون والصواب «والصابئين» وقال في سورة
المنافقين (آية ١٠) وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت
فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين
والصواب واكون بالنصب وقال في سورة آل عمران (آية ٥٢) ان
مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون
والصواب فكان

ومما اخطأ فيه مراعاة المروي قوله «سلام على الياسين» والوجه
الياس وقوله «وطور سينين» والوجه سيناء ومن خطإه في الضمائر

(١) قابل منار الحق

قوله في سورة الحج (آية ٢) «هذان خصمان اختصموا في ربهم»
والوجه اختصما في ربهما وقوله في سورة الانبياء واسروا النجوى
الذين ظلموا والوجه واسر النجوى وقوله في سورة الحجرات وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما والوجه اقتتلتا او بينهم
وبخلاف ما تقدم فان الرأي العام عند العلماء الخالين من الغرض
هو ان القرآن ليس بافصح من كل الكتب العربية فبعضهم لا يفضله
من حيث الفصاحة والبلاغة على المعلقات السبع وعلى مقامات الحريري
وان كانوا لا يتجاسرون على التصريح بذلك في البلاد الاسلامية على
ان التاريخ ذكر ان كثيرين من علماء العرب انكروا اعجازه من حيثية
اللغة وقال السلطان اسمعيل في كلامه عن الاسلام ان عيسى ابن صابح
المكنى بابي موسى مؤسس شيعة المزدارية والمعروف بالمزدار كان يقول
ان البشر يقدرون ان يكتبوا مثل القرآن في الفصاحة والبلاغة والروي
وقال بخلقه ونشأ عن ذلك نزاع استفحل شره في حكم المأمون استمر
من سنة ١٩٨ هجرية الى سنة ٢١٨ وقال مؤلف كتاب شرح المواقف
ان المزدار كان يقول كان ممكن للعرب ان يأتوا بافصح من القرآن
بكثير وقال الشهرستاني ابطل المزدار دعوى القرآن بالاعجاز من
حيث الفصاحة والبلاغة والنظام يقول ان اعجاز القرآن ليس من حيث

جمال عباراته بل من حيث اخباره بحوادث الماضي والمستقبل التي تضمنها وان الذي صرف العرب عن مباراته هو عدم الانصاف في الحكم بمضاهاته وادعائه باحرازه السبق على غيره بغير حق مما ثنى عزيمة المناظرين عن الاهتمام بدعواه ولو وجدوا حكماً يقضي بينهم وبين صاحب القرآن لاتوا بمثله بدون نزاع .

نعم ان اخواننا المسلمين يعتبرون من قال منهم بعدم اعجاز القرآن مبتدعاً ويسوءهم اعادة هذا القول الا اننا لسنا نريد اساءتهم ولا اهانة كتابهم بل نقصد فقط ان نبين لهم بما لدينا من الادلة ان مسألة اعجاز القرآن لم تقع موقع القبول والتسليم حتى عند العرب انفسهم بل كانت من بدء الاسلام الى الآن موضوع خلاف ونزاع ادى الى التحزب والانشقاق فان كان العرب ارتابوا في اعجاز القرآن وانكروه حالة كونهم ارباب اللغة واهلها فكيف يتعين على الاعاجم ان يسلموا باعجازه ويتخذونه دليلاً على نبوة صاحبه فاحكموا

ولنفرض كيفما كانت الحال ان القرآن افصح كتاب عربي على وجه الارض هل يلزم عن ذلك انه كتب بالوحي او هبط على محمد من سماء السموات لا يلزم ذلك ابداً لانه في كل لغة راقية كتب عديمة المثال في لغتها ففي اللغة الانكليزية لا يوجد اشعار كاشعار شكسبير

وفي لغة الالمان تفردت قصيدة شيلر وغوث عن النظير وفي لغة الفرس فاق حافظ الكل في نوع من القصائد وفاق مولانا الرومي في نوع آخر وفي لغة السكريتية الهندية تجلت عن المثيل قصائد ريج فيدا ولم يدع كتبتها بالاعجاز لفصاحتها و بلاغتها ولا قالوا انها وحي هبط عليهم من السماء ·

وعليه ففصاحة الكتاب ليست دليلاً على كونه منزلاً من السماء لانه على الارض فصحاء كثيرون والفصاحة من الصناعات البشرية انما الدليل سمو تعليمه لا تنسيق الفاظه كما شرحنا في المقدمة والا لكان الهنود محقين في دعواهم عن كتابهم مع انه قد ذكر فيه نحو ثلاثة وثلاثين الهاً. ويكون الكتاب موحى به من الله باعتبار ما يتضمن من التعاليم الحقة والافكار الصالحة والمبادىء الروحانية السامية ولا حاجة الى الالفاظ الا ما دعت اليه ضرورة البيان. وتسري هذه القاعدة على الكتب المؤلفة ايضاً فان قيمتها الحقيقية تقاس بصلاح تعليمها وجودة مبادئها لا بزخارف الفاظها وطلاوة عباراتها. فان كان لا يزال يدعي المسلم بان القرآن افصح كتاب في الوجود وفصاحته معجزة تدل على ان محمداً رسول الله فنقول هذه دعوى لا يمكن اقامة الدليل عليها الا اذا توفرت لدينا شروط هي من وراء مقدرة

البشر لانه لا يتأتى لاحد ان يحكم باسبقية القرآن على سائر الكتب في كل اللغات في الفصاحة والبلاغة ما لم يطلع على كافة الكتب واللغات ويقارن بينها وبين القرآن وهذا ما لا سبيل اليه ولا يتعرض احد به مسكة من العقل لمشروع محال وعليه فليس من المعقول ان يتمسك المسلم باهداب هذه الحجة الواهية مؤكداً ان ديانته نور وهدى لكل الناس وان نبيه خاتم الانبياء وسيد المرسلين الى غير ذلك من الدعاوي الطويلة العريضة وليس لديه من البراهين الا فصاحة القرآن المزعومة التي لا يتهيأ لمخلوق ان يسلم بها لانها تقتضي كما قلنا فحصاً لا يستطاع لو يكلف الاعمى ان يميز جميع الالوان التي في قوس قزح كان ذلك ايسر من ان يكلف البصير بفحص جميع الكتب التي في العالم في كل اللغات ليعلم عن بينة اي كتاب افصح الكل وعليه فكل الدعاوي الاسلامية قائمة على هذا الاساس الباطل والبرهان الساقط .

ومع اننا لم نستطع ان نقرأ الكتب جميعها ونعلم كل اللغات لنميز بينها وبين القرآن فقد قرأنا الكتاب المقدس ولله الحمد واننا نقول بملء فينا ان كثيراً من اسفاره في لغتها الاصلية افصح من اي قسم من القرآن ومن بين تلك الاسفار سفر النبي اشعياء والتثنية والمزامير وقد لا ينكر احد هذه الحقيقة من علماء اللغات الا اخواننا المسلمون ولو

فتح الله عليهم ودرسوا اللغة العبرانية التي كتبت بها هذه الاسفار لاعترفوا هم ايضاً بهذه الحقيقة.

ونذكر هنا طريقة سهلة مستطاعة لكل قارئ يقابل بها بين الكتاب المقدس والقرآن اذا كان يجهل اللغات الاصلية التي كتب بها الكتاب المقدس فليقرأ سفر النبي اشعياء او غيره من الاسفار التي ذكرناها في اي لغة كاللغة التركية او الفارسية او الانكليزية او الفرنساوية الى غير ذلك ثم يقرأ اي سورة من القرآن في تلك اللغة فلا يلبث طويلا حتى يتنازل عن دعواه وهو صاغر

ولكن لنفرض بعد هذا كله ان القرآن يرجح على سائر الكتب في الفصاحة والبلاغة فلا يصح ان تتخذ رجحانه من هذه الحيثية دليلا على كونه موحى به من الله لانه لا مناسبة بين الفصاحة والوحي كما انه لا يستدل بجمال المرأة على فضيلتها ولا بقوة الرجل على حكمته وانما يعلم الوحي من غيره بما اشتمل عليه من صلاح التعليم وملاءمة مبادئه لطبيعة الله القدوسة وكفاءته لجبر نقائص البشر وشفاء اشواقهم الروحية كما شرحنا ذلك في موضعه .

قيل عن ماني الذي ادعى النبوة زاعماً انه هو الروح القدس الذي بشر به المسيح انه يأتي بعده انه جاء بكتاب صور جميلة يدعى

ارتنج وقال ان الله اعطاه هذا الكتاب ليكون معجزة وبينة على انه رسوله الامين ونبيه الصادق وحجته على صحة دعواه ان لا احد من البشر يقدر ان يرسم صورة مثل هذه الصور فهل لانه لا احد عمل كتاباً مثل كتابه تقوم صحته ونؤمن به نبياً ورسولا كلا بل غاية ما في الامر نعترف له باتقان صناعة الرسم والتصوير وعلى هذا القياس ان سلمنا بانه لا كتاب في الدنيا يضاهي القرآن فصاحة فحسبنا ان نعترف لصاحبه باتقان الفصاحة كما اعترفنا لماني باتقان التصوير فالاعتماد اذاً لا على زخارف القرآن اللفظية بل على مشتملاته وهذا ما قصدنا ان نبحث فيه في الفصول الآتية .

الفصل الرابع

هل اذا فحصنا مشتملات القرآن تفيدنا انها من عند الله اوحى بها الى محمد؟

من اهم طرق الفحص التي بواسطتها نطلع على حقيقة القرآن ان نقرأ محتوياته بتأمل وامعان نظر لان مجرد استظهاره بدون تعقل معانيه لا يكفي ولا يغاير محفوظات الببغاء الذي يكرر الفاظاً ولا يدري ما يقول . ان الذين يؤمنون ان القرآن كلام الله وانه نور وهدى للناس اقل ما يجب عليهم ان يتفقهوا معناه ويقفوا على حقيقته

لانارة قلوبهم واذهانهم واعلم ان النور لايليق به ان يوضع من وراء
ستار من الباطل ولا تحت مكيال الخرافات والجهل بل يوضع على
منارة التعقل والتروي ليضيء من استضاء به ويهدي من اهتدى به
فقراءة القرآن بتأمل وعناية وبفهم معناه مما يجب على كل مسلم
ومهما يكن للقرآن من علو المنزلة فلا يظفر احد بطائل من ورائه مالم
يفهم اقواله ويلزم الطاعة لاوامره ونواهيه ولكنا بعكس ذلك نجد
جمهور المسلمين من قرآء وسامعين قد اكتفى هؤلاء بتلاوته وتجويده
بلحن مطرب واكتفى اولئك بالسمع ونشوة الطرب واغرب من
ذلك انهم يتوقعون ثواب الله من تلاوة واستماع بهذه الكيفية فتأمل.
ومن العجب العجاب ان لا يتلى الا بالعربية مهما يكن لسان الذي
يتلوه وألسنة الذين يسمعونه وهذا ما لا يجوز ان يقابل به كتاب
يقولون انه منزل من عند الله فانهم بهذه المعاملة لقرآنهم يشبهون ابن
سبيل يسير في الدجى مخفياً مصباحه تحت طي ثيابه وكان ينبغي له
ان يظهره ويرفعه امام بصره ليتبين له الطريق .

وحيث ان اخواننا المسلمين يدعون للقرآن دعاوي عالية
ان من اهم الامور ان لا ينبغي ان يرفض الانسان وحياً الهياً فلذلك
نرغب ان المفكرين من المسيحيين يدرسون القرآن درساً دقيقاً ليتعلموا

مايعلمهم اياه لئلايرفضون النور والهدى والخلاص برفضهم له. واذا درس المسلمون والمسيحيون الكتاب باعتناء فيكونون قادرين اكثر على معاونة احدهم الآخر لمعرفة طريق الحق والسير في الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضالين.

واعلم ان اهم ما في القرآن ما جاء فيه عن ذات الله واوصافه وتوحيده مثل كونه الاله الازلي الابدي القادر الحكيم العليم وانه هو السميع البصير المتكلم فاطر السموات والارض الرحيم العدل الكريم الصبور القدوس المحيي المميت الموصوف بجميع اوصاف الكمال المنزه عن النقائص والعيوب متعال عن الضعف والجهل والظلم والتغير.

ثم انه يدعو الناس الى الايمان بتوحيده وينهي عن الشرك وعبادة الاصنام وينذر بالنشر والثواب والعقاب على الاعمال التي يعملها العبد في هذه الحياة الدنيا ويعد الصالحين بجنات تجري من تحتها الانهار والاشرار بعذاب النار. وان من اوفى محتوياته مقالاً واوسعها مجالاً ما شهد به للتوراة والزبور والانجيل اي اسفار العهد القديم والجديد الذي يجمعها الكتاب المقدس كما ذكرنا ذلك في المقدمة آمراً بالايمان به وبالانبياء والرسل الذين جاءوا به والذين لم يأتوا بكتب

وعدم التفريق بينهم . ويحرم الرياء وانه يحرم بعض الاشياء ويحل البعض الآخر . وينهى عن القتل والسرقة والزنا والحنث ويأمر بانصاف اليتيم وبالاحسان الى المسكين.

اما من حيث هذه التعاليم فالكل يسلمون بصوابها سواءكانوا مسلمين او نصارى لانها صالحة وكل صالح مصدره الاول الله بصرف النظر عما اذا كان جاء به نبي في كتاب موحى به او ضمير او باي حالة اخرى وعليه فقبل ان تقبل دعوى محمد كنبي او رسول يجب ان نبحث اولاً في هذه النقط (١) هل كان محمد اول من علم بوحدانية الله وبالحلال والحرام وبشر الخطية وثواب الآخرة وعقابها (٢) او هل تعليمه من هذه الحيثية او غيرها كان اوسع وارقى مما جاء به الانبياء الاولون؟ اذ كان نتيجة وحي جديد يحتاج الحال الى ارسال رسول آخر بكتاب غير الكتب السابقة ليقرر هذه الحقائق من جديد

وعلى هذا السؤال نجيب فنقول : ان جميع هذه الحقائق التي ذكرها القرآن اخيراً جاءت من قبل في الكتاب المقدس مفصلة تفصيلاً ليس وراءه من مزيد ونودي بها في انحاء كثيرة من المسكونة حتى بلاد العرب نفسها لم تعدم نصيباً من معرفة وحدانية الله وعظمة صفاته من قبل ان يخلق محمد واجداده الاولون. هل من يجهل ان

وحدانية الله مثبوتة في فصول العهد القديم والجديد من اولها الى آخرها الكل يعلمون ذلك ويؤكدون ان هذه العقيدة اساس الايمان عند النصارى كما هي عند اليهود وكذا العقائد الاخرى مشروحة شرحاً وافياً في الكتاب المقدس مثل كون الله هو خالق السموات والارض وعرف ذلك كل من خالط اليهود والنصارى من الشعوب الآخرين كما دلت آثارهم فانهم اكتشفوا كتابات منقوشة على صخور في بلاد الفرس لداريوس الملك يحرض قومه على الايمان بان الله هو الخالق عز وجل وذلك من قبل التاريخ المسيحي بخمسمائة سنة وقبل محمد باكثر من الف سنة .

فلو كان محمد هو اول من قال بوحدانية الله لوجب علينا بدون نزاع ان نؤمن به اما وقد سبقه الى ذلك كثيرون من قديم الزمان فليس له علينا حجة واقل ما نقول في هذا الصدد ان العرب من قبل مولده كانوا يؤمنون باله واحد عظيم يدعونه «الله تعالى» ويدعون الكعبة «بيت الله». واعلم ان كلمة الله متى وردت محلاة بال التعريفية دلت على الاله الحق الواحد وقد ذكرتها العرب محلاة بال التعريفية كما مر بيانه. ونعلم ذلك حتى ان اسم ابي محمد «عبد الله» الذي مات قبل ان يولد ابنه يتضمن اسم الله معرفاً بأل فثبت الايمان

بوحدانيته تعالى.ولا ننكر ان العرب في الجاهلية كانوا يعبدون آلهة مع الله يعبدونها كوسطاء وشفعاء يقربونهم اليه وبهذا المعنى جعلوها كشركاء له تعالى ومع هذا فكان لا يزال يوجد بين هؤلاء المشركين موحدون . ولو فرضنا ان محمداً لم يسمع قط من وثني العرب عن وحدانية الله لكفاه ما سمعه من العرب المتنصرين والمتهودين ومن النصارى واليهود النازلين في بلاد العرب في ذلك الزمن.ولعلك لست جاهلاً ان محمداً سافر الى سورية لا اقل من مرتين وخالط وعامل اهلها وكانوا حينئذ يدينون بالنصرانية ووقع ذلك من قبل ان يدعي الرسالة.اما سفره الاول فحدث وهو ابن تسع سنوات برفقة عمه ابي طالب واما سفره الثاني فحدث وهو ابن خمس وعشرين سنة برفقة مملوك لخديجة يدعى ميسرة ولا ينكر احد ان كثيراً من اقاربه واصحابه كانوا يهوداً ونصارى ناهيك عن زوجته مارية القبطية ومن هؤلاء ورقة بن نوفل كان تابعاً لمذهب الحنفاء ثم صار مسيحياً واطلع على التوراة والانجيل (انظر سيرة الرسول مجلد اول) ومنهم عثمان بن حويرث الذي تنصر في بلاط القيصر بالقسطنطينية وكلا الشخصين حسب سلسلة الانساب التي دونها ابن هشام هما ابناء عم خديجة. وكان رجل من الحنفاء يدعى عبيد الله ابن جحش قد اسلم وهاجر

الى الحبشة ولكنه لم يلبث حتى تنصر ثم توفي وتزوج محمد بارملته المدعوة ام حبيبة. وكان من جملة صحابته سلمان الفارسي الذي يقول عنه البعض انه من نصارى بين النهرين ولما اخذ في السبي الى بلاد الفرس اعتنق مذهب زردشت ويقول آخرون وهو الرأي المعول عليه انه فارسي وزردشتي مولداً ومنشأً لكنه اعتنق الدين المسيحي فيما بعد في بلاد سورية وبعدها سافر لبلاد العرب ثم اسلم وصاحب محمداً وهو الذي اشار عليه عند هجومه الى الطائف باقامة المتاريس لهدم مبانيها وكذا اشار عليه بحفر الخنادق حول المدينة لحمايتها من هجمات قريش وحلفائهم في السنة الخامسة للهجرة. ومنهم عبد الله بن سلام وكان من قبل اتباعه لمحمد عالماً يهودياً وحبراً من احبار اليهود وروى عنه العباسي [1] والجلالان في تفسيرهما انه هو الرجل المشار اليه بقوله «وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله» (سورة الاحقاف آية ١٠) يريد الاتفاق بين الاسفار المقدسة وبين القرآن . وذكر العباسي ان عبداً مسيحياً يسمى يسار او ابو فكيهة ورجلاً آخر رومياً دعته العرب ابو تقبيحة اتهمهما الناس بانهما اعانا محمداً على تأليف القرآن واملياه عليه واشار القرآن الى هذه التهمة في سورة الفرقان حيث

---

(١) لعل صوابه ابن عباس اه مصحح

يقول « وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا » وقال العباسي ايضاً في تعليقه على سورة النحل (آية ١٠٣) « ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين » ما معناه ان الرجل الاعجمي الذي زعموا انه علم محمداً القرآن رجل مسيحي يدعى قاين وذهب الجلالان ان الآية تشير الى شخصين آخرين وهما يسار وجبرا وقال بعضهم بل تشير الى سلمان الفارسي وآخرون الى صهيب وآخرون الى راهب اسمه عداس ناهيك ان زيداً الذي تبناه محمد كان سوري الجنس مولداً ومنشأ[1] وعليه فقد كان يدين بالمسيحية ولعل اشارة القرآن كانت اليه .

فاذا اعتبرنا هذه الاخبار التي صراحتها لا تحتاج الى محاورة ولا جدال نجد انه لا يمكن بالكلية ان تنسب التعاليم التي جاءت في القرآن من حيث وحدانية الله والقيامة والثواب والعقاب الى غير ذلك مما تقدم ذكره الى محمد بدليل ورودها في الكتاب المقدس اي التوراة والانجيل من قبل محمد بقرون كثيرة وعليه نحكم انه اقتبسها من هذا

---

(١) كذا في الاصل لكن المصحح يظنه بعيد الاحتمال

الكتاب بمعرفة هؤلاء الصحابة والاعوان ونحن لا نذمه على اقتباسه هذه التعاليم من التوراة والانجيل بل بالحري نشكره غير ان وجود هذه الحقائق في القرآن لا يثبت اعجازه ولا هو دليل على وحيه .

وكثيراً ما قالوا ان البرهان القاطع على نبوة محمد انباؤه بامور كثيرة مستقبلة في القرآن وقد تمت وهذا يدل طبعاً انه من عند الله لانه لا يعلم الغيب الا هو ويؤيدون حجتهم هذه بما ورد في سفر التثنية ١٨: ٢١و٢٢ حيث يقول « وان قلت في قلبك كيف تعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه » فمن الواجب علينا ان نفحص باعتناء الآيات القرآنية التي يزعمون انها تتضمن انباء عن حوادث كانت ستحدث في المستقبل عندما أملاها محمد لكتبته .

لو اتفق المسلمون ان القرآن تأليف محمد وكتب بالوحي وليس كما يقولون انه املاه له جبرائيل لكانت حجتهم اقوى

وقد احصوا الآيات الانبائية في اثنين وعشرين خبراً وردت في المواضع الآتية (سورة البقرة آية ٢١ و٢٢ و٨٨ و٨٩ وسورة آل عمران آية ١٠ و١٠٧ و١٠٨ و١٤٤ وسورة المائدة آية ٧١ وسورة

الانفال آية ٧وسورة التوبة آية ١٤ وسورة الحجر آية ٩و٩٥وسورة النور آية ٥٤وسورة القصص آية ٨٥وسورة الروم آية١—٤وسورة فصلت آية ٤٢ وسورة الفتح آية ١٦ و١٨—٢١ و٢٧ و٢٨ وسورة القمر آية ٤٤ و ٤٥ وسورة الصف آية ١٣ وسورة النصر آية ١و٢ ولا يخفى على القارئ الفطن ان هذه النبوات المزعومة تنقسم الى ثلاثة اقسام الاول ما يشير الى انتصارات محمد والثاني ما يشير الى القرآن نفسه والثالث وهي نبوة واحدة تشير الى الروم ولنتأمل في هذه الاقسام بالتتابع على وجه مختصر

فنقول اما من جهة النبوات بانتصارات محمد فلا تحتاج الى بحث كثير لانه لا يمكن اقامة الدليل على انها كتبت او نزلت كما يقولون من قبل وقوع الحوادث التي قال المفسرون انها تشير اليها ولكن نسلم جدلاً ان تلك النبوات كتبت قبل الوقائع الدالة عليها فلا يترتب على ذلك شيء عظيم لانه ليس بالامر المستغرب ان يعد محمد قومه بالنصر في مقدمة كل حرب بل هذه خطة القواد العظام يبشرون جيوشهم بالنصر تشجيعاً لهم على خوض غمار الحرب بقلب رابط الجأش ولا بد ان تدور الدائرة على احد القائدين المتحاربين فهل يجوز للقائد المنتصر ان يدعي النبوة بناء على كونه سبق فوعد قومه بالنصر من قبل. كلّا

يعلم ان القائدين جنكيزخان وتيمورلنك مثلاً بشرا عساكرهما بالفتح المبين والغنم العظيم وقد تمت بشراهما وانهزمت الاعدآء فهل كانا لاجل هذا من انبياءِ الله ورسله ؟ على ان انباء محمد بانتصاراته يرجى تحقيقها عند جنوده اكثر مما يرجى تحقيق انباءالقواد الآخرين عند جنودهم لان اولئك كانوا يؤمنون بان قائدهم رسول الله المؤيد بقوته غير المتناهية وهذا يولد في نفوسهم البسالة والاقدام بكيفية عديمة المثال في الحروب الاعتيادية كما جرى في واقعة الوهابيين وفي واقعة المهدي وخليفته في الاقطار السودانية التي كانت لا محالة يستفحل شرها لولا قددهمتها وهي في مهدها ضربة قاضية من الجيوش المنتظمة ذوي العدد المستكملة مما لم يلق محمد مثله في زمانه الغابر .

ولزيادة الايضاح نتأمل في غزوة بدر احدى غزوات محمد لان بعضهم يطبق عليها ما ورد في سورة القمر آية ٤٤ و ٤٥ حيث يقول «ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر» قال البيضاوي في تفسيره لسورة الانفال آية ٥ ما معناه ان ابا سفيان مع تسعة وثلاثين راكباً كانوا يحرسون قافلة آتية من سوريا فأعلم جبريل محمداً بخبرها وقلة حرسها مع وفرة ثروتها فقام محمد لساعته وحرض رجاله بان يهجموا على تلك القافلة ويسلبوا ثروتها فلما بلغ الخبر اهل

مكة قادهم ابو جهل الى بدر واذ سمع رجال محمد بذلك خشوا العاقبة ولاموا محمداً على عدم انذارهم بذلك من قبل ليأخذوا لانفسهم الاهبة اللازمة وودوا لو يجدون في طلب القافلة فقالوا يارسول الله عليك بالعير ودع العدو فاعتذر بان الله وعده بالغلبة على احدى الطائفتين إما القافلة او العدو وقال البيضاوي ايضاً في تفسيره لآية ٦ من السورة عينها ما معناه ان المسلمين احجموا اولاً عن محاربة قريش في هذه الواقعة لانهم يزيدون عنهم عدداً وسلاحاً ولم يكونوا مستعدين للحرب حينئذ . وقال في تفسيره لسورة القمر آية ٤٤ و٤٥ ما معناه ان عمر لم يكن يعلم معنى هذه الآية حتى الساعة التي لبس فيها محمد درعه وخرج للقتال في ذلك اليوم . اما كون المسلمين خشوا بأس قريش في بادىء الامر فظاهر من سورة الانفال آية ٦ «يجادلونك في الحق بعدما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون »

وقال ابن هشام عن واقعة بدر ما معناه لما علم رسول الله بقدوم جماعة ابي سفيان من سورية حرض رجاله ليوقعوا بهم وقال لهم ها كم قافلة قريش تحمل امتعتهم فاحملوا عليهم عسى الله ان يدفعهم الى يدكم فتحمس بعضهم واحجم البعض الآخر اذ لم يخطر في خلدهم ان رسول الله يتقدمهم في المعركة ولما دنا ابو سفيان من الحجاز اخذ

يسأل في طريقه كل من مر به عن قوم محمد لانه اوجس خيفة على قافلته من شرهم الى ان بلغه خبرهم بالتفصيل فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري واوفده الى مكة يحشد قريش ويبادر بهم اليه لحماية اموالهم من هجمة محمد فاقبل جند عديد منهم للغاية المذكورة. وورد في كتاب حياة القلوب معلقاً على الروايتين السابقتين ما معناه ان محمداً اظهر لقومه ان القافلة لا يمكن الحاقها اذ قد بعدت عنهم وان قريشاً قادمون نحوهم ويأمرهم الله بالجهاد في سبيله ضد هؤلاء القوم الكافرين فما بلغهم ذلك حتى هلعت قلوبهم من شدة الخوف وقال في غير موضع لما سمع قوم محمد بكثرة عدد قريش وقع الرعب في قلوبهم وصاحوا مولولين فاخذ محمد يشجعهم ويبث فيهم روح البسالة والاقدام مكرراً عليهم سورة القمر آية ٤٤ و٤٥ حيث يقول «ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر» وهذه على نحو ما يقول كل قائد لجنوده يوم يلتئم الجمعان وتحتدم نار الحرب الا ان محمداً زاد عن القواد ان عزى قوله الى مصدر سماوي ليقوي رجاءهم فحاربوا بشجاعة ونالوا النصر وليس ذلك من النبوة في شيء كما رأيت

ثم نتقدم الى القسم الثاني من نبوات القرآن المزعومة وهي التي تتعلق بالقرآن نفسه ظن قوم ان بقاء القرآن سالماً من التحريف

بالزيادة والنقصان كان تميماً لقوله في سورة الحجر ٩ « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »قال صاحب كتاب اظهار الحق اي حافظون له من الزيادة والحذف الخ بواسطة القراء وقد تم ذلك فانه منذ تنزيله الى عصرنا الحاضر لم يجترئ كافر من الكفرة الملحدين ولا مترف من القرامطة ان يمسه اقل مساس في المعنى او اللفظ او حركات الضبط . غير ان الذين فطنوا الى ما قدمناه في الفصل الثالث من الجزء الثاني من هذا المؤلف يذكرون حكاية ما فعله عثمان ثالث الخلفاء الراشدين بالقرآن وكيف انه احرق جميع النسخ القديمة مما يدل بلا نزاع على وقوع اختلاف بين نسخ القرآن لا يمكن اخفاؤه الا بحرق القديم منها فكيف نضرب عن ذلك صفحاً ونقول ان القرآن باق على ما نزل وعدا حادثة الحرق نقول ان كان القرآن باقياً على ما كان عليه حقيقة فماذا يكون ظنك حينئذ بالاحاديث الصحيحة الشاهد بوقوع التغيير في نسخه من ذلك قول محمد « رحم الله فلاناً لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت اسقطتهن » ويروى « انسيتهن » ومن الآيات الساقطة التي لم يتفق له من يذكره اياها آية المتعة اسقطها علي وهذا ما حدا بعائشة ان تلومه وتقرعه على هذا الفعل الذميم فقالت انه يجلد على القرآن وينهي عنه وقد بدله وحرفه ومنها آية الرجم

وما كان يقرأه ابي بن كعب وفقد من القرآن المتداول اليوم وهو قوله «اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوكل عليك الخ» وعليه نقول ان كانت آية «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» نبوة كما يزعمون فهي نبوة لم يتبين صدقها فاذاً القسم الاول والثاني من نبوات القرآن المدعى بها مما يختص بانتصارات محمد وببقاء القرآن على اصله وصونه من التحريف لم ينطبق عليها حكم النبوات الصحيحة

بقي علينا ان نتكلم عن القسم الثالث من النبوات المحكي عنها وهي التي تشير الى انهزام الروم ثم غلبتهم وهي واقعة في اربع آيات وننقل لفظها هنا للتفكير «آلم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم» سورة الروم الى ٤ زعم قوم من المفسرين ان هذه الآيات نبوة صريحة بالمستقبل دالة على صحة رسالة محمد وقالوا ان الآية الاولى منها تدل على انكسار الروم في سورية امام الفرس في ملك خسرو برويز ولما بلغ خبر انتصار الفرس على الروم فرح المشركون وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون فقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فعند ذلك نزلت الآية التالية «وهم من بعد غلبهم

سيغلبون في بضع سنين» وروي ان ابا بكر عقد مراهنة بينه وبين
ابي بن خلف ان هذه الآية ستتم في ظرف ثلاث سنين لكنه لما علم
من محمد ان كلمة بضع المشار اليها في الآية هي كناية عن عدد قليل
يتراوح بين الثلاثة والتسعة بدل الشروط المتفق عليهامن حيث المدة
وقالوا ان الروم غلبت بعد سبع سنين وربح ابو بكر المراهنة وقبض
قيمتها من ورثة ابي الذي كانت ادركته الوفاة وقتئذ هذا ما حكوه
لتأييد نبوةالقرآن المتعلقة بالرومفارس والآن اسمح لي ايهاالقارئ
العزيز ان نتبين صحة هذه الحكاية مع التسليم بان الآية المشار اليها
كتبت قبلواقعة الحرب وظهور النتيجة وانها باقية علىماكانت عليه

نعلم من التاريخ ان فارس هزمت الروم في ارض سورية في
السنة السادسةقبل الهجرة الموافقة لسنة ٦١٥ميلادية واذ تمتهذه
الحادثة وغلبت الروم في ادنى الارض بلغ هذا الخبر الى مكة فيايام
قليلة قال البيضاوي في تفسيره مامعناه انتلك النبوة تمت يوما نتصر
الروم على فارس وكان ذلك في يوم الحديبية . ونعلم ان معاهدة
الحديبية تمت فيذي القعدة من السنة السادسة بعد الهجرةالموافقة
لشهر مارس سنة ٦٢٨ ميلادية فان صح تفسير البيضاويكانتغلبة
الروم فيالسنة الثانية عشرة بعد انهزامهم خلافاً لما جاء فيالقرآنمن

ان بين الحادثتين بضع سنين والبضع لا يزيد عن تسع وعليه فلم تتم النبوة على انه ليس من النوادر البالغة حد الاعجاز ان يخبر احد أية الدولتين تحرز الغلبة فان هذا يمكن معرفته بدون تكليف جبريل بان يأتي بوحي من السماء بل يعرف ذلك بمضاهاة الدولة الواحدة بالاخرى فمن كانت اكثر رجالاً واوفى عدة واعلا همة فهي الغالبة لا محالة حتى وان غلبت في بادئ الامر . لهذا لنا الحق ان ندعي بان محمداً انبأ بانتصار الروم اخيراً من تلقاء نفسه بمجرد رأيه الثاقب وذكاء فكره اسوة بكثيرين من ذوي الآراء الصائبة وقيل في الامثال ظن العاقل اصح من يقين الجاهل . عدا ذلك نقول انه من المحتمل ان يكون ابو بكر راهن صاحبه على انتصار الروم من قبل ان يشاور محمداً فان صح هذا الاحتمال كان ابو بكر نبياً ايضاً كمحمد لانه تأكد ان الروم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين حتى انه عقد مراهنة على هذه النتيجة فتأمل. اما الحقيقة الناصعة فهي انه لا قول ابي بكر ولا قول محمد من النبوة في شيء بل انهما كرجلين مدربين بمرور السنين ومحنكين بمشاهدة الوقائع لاحظا ان دولة الفرس كثر فيها الاضطراب والهرج واخذ منها الضعف والاختلال كل مأخذ بدليل تولية الملوك عليها وسقوطهم في زمن قصير فانه ما بين موت

انوشروان سنة ٥٨٧ ميلادية و بين سقوط يزدجرد الثالث سنة ٦٤٢ ميلادية ملك على الفرس لا اقل من اربعة عشر ملكاً ومات اكثرهم قتلاً بعد تمليكهم بزمن قصير وحدث في السنين الخمس التي ما بين ملك خسرو فرويز (سنة ٢٢٧ ميلادية) وبين تولية يزدجرد انه قد ملك نحو احد عشر ملكاً فكل من له مسكة من العقل يحكم لاول وهلة ان دولة كهذه لا تقوى على الروم فليس بعظيم على محمد ان يعرف هذه النتيجة الضرورية على ان محمداً لم يعين بالضبط عدد السنين التي تكون الغلبة من بعدها بل اتى بعدد مرن يمتد وينكمش فقال « بضع سنين » محتاطاً لنفسه لئلا تمسك عليه غلطة ومع ذلك فاخطأ الحقيقة بالرغم عن احتياطه ولو مددنا بضعاً الى اقصى حدودها لان الروم لم يغلبوا فارس قبل مرور عشرة سنين لا تسع بعد انهزامهم على اقل تقدير .

ومما يؤكد لنا ان محمداً كان عالماً بضعف الفرس من قبل ان يطلع على آية الروم بسنين كثيرة ما رواه ابن هشام في سيرة الرسول قال ما معناه عقد محمد ورؤساء قريش مؤتمراً في مكة قبل الهجرة واجتهد في ان يستميلهم الى الاقرار بالكلمة الاولى من الشهادتين واطراح الشرك واعداً اياهم بعلو المنزلة على العجم والعرب الى ان قال

«ياعم كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم»

ومع هذا كله فان البيضاوي كفانا مؤونة هذا البحث واراحنا من المناظرة فيما اذا كانت آية الروم نبوة كما زعموا ام لا وذلك لانه يروي لنا خبر اختلاف قراءة تلك الآية اذ يقرأها بعضهم هكذا غلبت (مبنياً للمعلوم) عوض غلبت (مبنياً للمجهول) وسيغلبون (مبنياً للمجهول) عوض سيغلبون (مبنياً للمعلوم) فتكون جملة الآية هكذا «غَلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غَلبهم سيُغلبون في بضع سنين» فان صحت هذه القراءة بطلت دعوى الذين يدعون باشتمال هذه الآية على معجزة الانباء بالمستقبل وكانت حكاية المراهنة التي زعموا ان ابا بكر عقدها مع ابي حديث خرافة لان ابياً كان قد مات قبل انتصار المسلمين على الروم بل قبل انتصار الروم على الفرس بسنين كثيرة ومن هنا نعلم شطط الحديث ووهنه وهو عندهم مصادر الثقة وقال البيضاوي في تفسيره آية الروم بحسب القراءة الثانية ما معناه ان الروم انتصروا على ريف الشام ثم ان بقية الآية تبشر بانتصار المسلمين عليهم في بضع سنين وبموجب هذا التفسير يلزم ان يكون الحديث الذي اثبتوا به نزول الآية المذكورة قبل تاريخ الهجرة بست سنين غير صحيح لانها تكون قد نزلت بعد ذلك باثنتي عشرة سنة على الاقل

والحاصل ان الاستدلال على كون محمد رسول الله بانبائه عن حادثة مستقبلة كما يزعمون استدلال باطل . اولاً لان تاريخ نزول الآية المتضمنة الانباء بالمستقبل غير معلوم بالضبط . ثانياً لان قراءتها الصحيحة غير معلومة ايضاً . ثالثاً لا يمكن ان يتبين من معنى الآية المذكورة ان شيئاً من النبوة قد تم ٠

مما تقدم يظهر ان ما بناه المسلمون من اثبات رسالة نبيهم على براهين النبوات المزعومة في القرآن قد سقط من اصوله لدى الامتحان الدقيق ولما كانت الاشياء تعرف باضدادها علينا ان نقارن بين نبوات القرآن المذكورة و بين نبوات الكتاب المقدس وما كان منها بخصوص المسيح في العهد القديم وما كان بخصوص اليهود في كلا العهدين او تلك النبوات التي في سفر الرؤيا مثل ص ٩ و١٤: ٦

ومن البراهين التي يقدمونها على كون القرآن موحى به من الله ما يدعونه من اشتماله على اخبار الامم البائدة منذ قرون كثيرة. اما هذه الدعوى فلو صحت لكانت ذات اهمية عظمى في اثبات ما ارادوا ان يثبتوه فعلينا ان نعرضها على بساط البحث والتنقيب كتاجر حريص ينقد الدراهم التي يتعامل بها خشية من ان تكون مزيفة فيندم حيث لا ينفع الندم اما الذهب النقي فيدفع به صاحبه الى يد

الناقد غير هياب ولا وجل لانه كيفما يمتحن يتزكى ويحمد حتى اذا طرح في نار حامية فهل ياترى تحتمل اخبار القرآن التاريخية نار الامتحان كذهب خالص او تحرق من قليل الشرر كهشيم العشب

ولنبدأ بحكاية عاد وثمود قبيلتين من العرب ذكرهما القرآن فنقول اننا نعلم بوجودهما من كاتبين من قدماء اليونان وهما بطليموس وديودورس سيسلوس وزاد القرآن عما ذكراه شيئاً يسيراً في قصة تينك القبيلتين. وان كثيرين من المكتشفين المحققين الذين نبغوا في العصر الحاضر اثبتوا باكتشافاتهم ما رواه الكتاب المقدس عن قدماء المصريين وبابل واشور اما عاد وثمود فلم يثبت احد ما حكاه القرآن عنهما حتى ظن كثير من العلماء الباحثين ان محمداً نقل خبرهما من كتب الصابئين [1] التي دعاها في قرآنه «صحف ابرهيم» (سورة الاعلى١٩) ويظهر انه فيما بعد قد علم ان هذه الصحف مزورة فلم يعد يذكرها مدة اربع سنين بعد ادعائه الرسالة اما من جهة هود وصالح وشعيب فمن المحتمل ان يكونوا مبشرين مسيحيين جاءوا بلاد العرب يكرزون لها بالانجيل ومن المحتمل ان يكونوا غير ذلك حيث انه لم يذكرهم احد من المؤرخين ولا غيرهم سوى القرآن اما تاريخ الزمن الذي وجدوا

---

(١) انظر ملاحظة الكندي عن عاد وثمود في رسالته من طبعة لندن

فيه ان كانوا وجدوا حقيقة فغير معلوم. وقال بعض العلماء اذا كان القرآن لم يصب كبد الحقيقة في ما رواه عن الاشخاص المعلوم وجودهم من التاريخ قبل الاسلام بقرون فلنا حق ان نزعم ايضاً بان ما رواه عن عاد وثمود وطسم وجديس وهود وصالح وشعيب الخ ليس بصحيح الا اذا كان يقام عليه الدليل. ومن امثلة ما اخطأ القرآن في سرد اخباره ابرهيم فانه روى عنه كثيراً مما لا يوافق ما جاءت به التوراة التي يشهد لها انها نزلت من عند الله مثل حكاية طرحه في النار وخروجه منها سالماً التي انما هي خرافة يهودية اخذها عنهم بغير تثبت من اصلها. قال صاحب مصادر الاسلام ما معناه منشأ هذه القصة اشتباه بعض المفسرين الجهلة بين لفظة اور بلغة البابليين القديمة التي معناها مدينة الواردة في قوله تعالى خطاباً لابرهيم «انا الرب الذي اخرجك من اور الكلدانيين» (تك ١٥: ٧) وبين كلمة اور التي معناها نار في اللغة الكلدانية فظن ذلك المفسر ان الرب اخرج ابرهيم من نار الكلدانيين لا من مدينتهم فاضطر حينئذ الى تمهيد الخبر بتلك القصة السخيفة ووردت كلمة اور بمعنى مدينة في قوله اورشليم اي مدينة شليم واخطأ القرآن في تسمية ابي ابرهيم «آزر» (سورة الانعام آية ٧٤) وهو تارح (تك ١١: ٢٦) ثم قال في سورة الاعراف ما معناه ان الله

ارسل الطوفان على المصريين في عصر موسى وذكر الطوفان محلى بال التعريف في هذا الموضع يحملنا على الظن بانه عنى طوفان نوح الذي ذكر في السورة عينها (انظر آية ١٣٢ و٦٣) ومن خطإه الفاضح ان التبست عليه مريم ابنة عمران (سورة آل عمران آية ٣٣—٤٤) واخت هرون (سورة مريم آية ٢٩ مع خر ١٥: ٢٠ وعد ٢٦: ٥٩) بمريم ام المسيح (انظر سورة التحريم آية ١٢) وبين الاولى والثانية زهاء الف واربعمائة سنة قال الامام مسلم في صحيحه ما معناه ان نصارى نجران انتقدوا على القرآن هذه الغلطة التاريخية امام المغيرة فتشاور مع محمد بهذا الصدد ولكنه لم يقف منه على جواب شاف ومن وقتها الى الآن تقضت الف وثلثمائة سنة على القرآن وهو يدرس ويشرح الا انه لم يتوفق لاحد من العلماء ان يزكيه بازاء هذا الشطط التاريخي الصريح

وجاء في سورة الكهف ٦٤—٩٩ سيرة ذي القرنين قال البيضاوي وابن هشام انه اسكندر الكبير المكدوني وهذه عبارة البيضاوي حرفياً «ويسألونك عن ذي القرنين» (يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان اي ضفيرتين وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه

لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كأنه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه)

ان كان اسكندر عمر جيلين كما زعم البيضاوي فما كان اقصر اعمار اهل زمانه اذ إنه توفي ابن ثلاث وثلاثين سنة على اثر ارتكابه فسقاً بسكر في مدينة بابل سنة ٣٢٣ ميلادية ولم يكن نبياً كما زعم القرآن ولا مؤمناً من عامة المؤمنين انما كان من عباد الاصنام وادعى انه ابن اله المصريين امون واما حكاية انه بلغ مغرب الشمس ووجدها تغرب في عين حمئة او حامية حسب قراءة بعضهم فمن مختلق الحديث (سورة الكهف ٨٧) لان الشمس لا تدور حول الارض بل الارض تدور حولها كما هو معلوم وكذلك لا صحة لما رواه القرآن عن السد الذي بناه من زبر الحديد والقطر (النحاس) بين جبلين ما هول احدهما بامة صالحة والآخر بامة متوحشة (سورة الكهف ٩٥) ومع ذلك فيجزم البيضاوي مع رفقائه المفسرين ان ذا القرنين ما هو الا اسكندر المكدوني المعروف ولعل الذي حملهم على ذلك التأكيد ما ورد في نبوة دانيال ٨:٣و٤ من سيرة الكبش ذي القرنين الذي كان ينطح غرباً وشمالاً وجنوباً ولم يقف امامه احد فظنوا انه رمز الى اسكندر وسموه ذا القرنين والحقيقة بخلاف ذلك لان

الاصحاح نفسه يبين ان ذلك الكبش يرمز به لا الى اسكندر بل الى اتحاد مملكتي مادي وفارس وعلى ذلك قوله «اما الكبش الذي رأيته ذا القرنين فهو ملوك مادي وفارس» (دا٨: ٢٠) واما اسكندر فرموز اليه في الاصحاح عينه بتيس ذي قرن واحد بين عينيه وصرح بانه غلب الكبش اي مملكة مادي وفارس وعلى ذلك قوله «رأيت الكبش ينطح غرباً وشمالاً وجنوباً فلم يقف حيوان قدامه ولا منقذ من يده وفعل كمرضاته وعظم وبينما كنت متأملا اذا بتيس من المعز جاء من المغرب على وجه كل الارض ولم يمس الارض وللتيس قرن معتبر بين عينيه وجاء الى الكبش صاحب القرنين الذي رأيته واقفاً عند النهر وركض اليه بشدة قوته ورأيته قد وصل الى جانب الكبش فاستشاط عليه وضرب الكبش وكسر قرنيه الخ» وقوله «والتيس الثاني ملك اليونان والقرن العظيم الذي بين عينيه هو الملك الاول» (دا٨: ٤و٥ و٢١). ومما مهد الاسباب لعلماء المسلمين ان يعتبروا ذلك الكبش رمزاً الى اسكندر هو ان كلمة الكبش تطلق في العربية على «سيد القوم» والحاصل ان كل ماقاله القرآن عن ذي القرنين الذي يعني به اسكندر المكدوني لا اثر له في تاريخ ذلك الملك العظيم الذي دونه كثير من

مشاهير المؤرخين وهذا ما حدا بالعلماء ان لا يثقوا بالاخبار التاريخية المنقولة عن القرآن .

ومن خطإه في التاريخ انه اخبر بان المرأة التي تبنت موسى هي امرأة فرعون (سورة القصص آية ٩) بينما موسى نفسه وهو اعلم بمن ربته من محمد قال انها ابنة فرعون لا امرأته (انظر خر ٢: ٥—١٠) وجاء ذكر هامان مقترناً بفرعون في مواضع جمة من القرآن كخادمه ووزيره والحقيقة لم يكن لاحدهما اقل علاقة بالآخر فاننا نعلم من سفر استير ان هامان كان حبيباً وخليلاً لاحشويرش ملك فارس الذي يدعوه اليونان زركسيس وعاش في بلاد فارس لا في مصر بعد فرعون موسى بمئات من السنين . ومن غلطاته انه قال ان فرعون امر هامان ان يبني له صرحاً يمس السموات كما في سورة غافر وهذا خطأ وصوابه ان هذا البرج او الصرح لم يبن في مصر بل في بابل من قبل فرعون بقرون كثيرة (انظر تك ١١: ١—٩) .

وجاء في سورة (طه آية ٧٨ و٩٦) ان العجل الذي عبده بنو اسرائيل في البرية في وقت موسى قد عمله لهم السامري وهذا خطأ فاضح لان مدينة السامرة المنسوب اليها هذا الرجل لم تكن بعد في الوجود وقد بنيت بعد موسى بمئات من السنين (انظر ١ مل ١٦: ٢٤)

ولعله التبس على كاتب هذه السورة العجل الذي عبده بنو اسرائيل في البرية بالعجلين الآخرين اللذين عبدوهما بعد زمن داود وسليمان (١مل١٢: ٢٨) حتى ان هذين العجلين كانا قبل ان تبنى مدينة السامرة ولما بنيت السامرة كانت عاصمة لمملكة السامرة وهذه الحقيقة هي التي بنيت عليها هذه القصة .

وجاء في سورة البقرة(آية٢٥٠ — ٢٥٢) حكاية داود مع جليات الجبار مشوشة بحكاية فرقة جدعون التي امتحنها بالشرب من النهر عندما حارب المديانيين وبين الحكايتين زمن مديد وفي سورة الكهف (آية ٨ — ٢٦) وردت قصة اهل الكهف وهي حكاية مكذوبة صنفها اصحاب البدع من طوائف النصارى وخلاصتها ان سبعة شبان مسيحيين هربوا من اضطهاد احد قياصرة الروم المدعو دقيانوس واختبأوا في مغارة فرقدوا نحو ٣٠٠ سنة ولما استيقظوا وجدوا كل شيء قد تغير وكان الامبراطور حينئذ ثيودوسيوس وهو رجل مسيحي فاندهشوا غاية الاندهاش اذ بين ليلة وضحاها انقلبت الاحوال رأساً على عقب وقد وردت هذه القصة في كتاب لاتيني اسمه مجد الشهداء تأليف غريغوريوس كما اثبت ذلك صاحب كتاب مصادر الاسلام وظن بعضهم ان كاتب هذه القصة لم يكتبها كواقعة حال بل تخيلها كرواية

ليعظ بها قومه ويريهم قدرة الله على كل شيء واما اليوم فلا يصدقها احد من النصارى وتستعمل في اوربا لتسلية الاولاد الصغار .

واظن لا حاجة بنا الى المزيد من سرد الغلطات التاريخية الواردة في القرآن اكتفاء بما سردناه ولعل في هذا القدر كفاية لصرف اخواننا المسلمين عن الاحتجاج بمضامين القرآن التاريخية على صحة نسبته الى الله وعلى صدق رسالة محمد .

وزعم بعضهم ان من البراهين الداله على كون القرآن كتاب الله خلوه كما يتراءى لهم من التناقض الاختلاف كأنهم يقولون ان كتاباً كبير الحجم كهذا ان لم يكن من عند الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً وهذه ايضاً دعوى باطلة لاننا نرى فيه اختلافاً كثيراً بعضه قليل الاهمية وبعضه جوهري فالاول كالاختلاف الواقع بين عددي ١٣ و١٤ و بين عددي ٣٩ و٤٠ من سورة الواقعة وما قاله البيضاوي ونقله الزمخشري من الحديث لتسوية الاختلاف المذكور لم يكن قولاً سديداً ولكننا نسلم ان هذا شيء زهيد بجانب ما سنذكره لك من المسائل الخطيرة .

جاء في (سورة النساء آية ٤٧) ان الله لا يغفر خطية الشرك ويغفر ما دون ذلك والشرك هو اتخاذ آلهة مع الله او دونه الا انه

ورد في (سورة الانعام آية ٧٦ — ٧٨) ان ابرهيم اتخذ الشمس والقمر والنجوم آلهة دون الله وهذا شرك بين في حين ان اخواننا المسلمين يعتبرونه نبياً عظيماً من اولي العزم ويعتبرون ان جماعة الانبياء معصومون

ويحرم القرآن النفاق في جملة مواضع منها سورة (البقرة آية ٧٦ والنساء آية ١٣٨ والتوبة آية ٦٥ — ٦٩ والمجادلة آية ١٤) ويجعل مثواهم في الدرك الاسفل من النار (سورة النساء آية ١٤٤) ومما لا ينكره احد من ذوي العقول السليمة انه اذا اسلم احد مكرهاً بقوة السيف لايكون اسلامه من قلبه بل من شفتيه ومتى خالف ظاهر الانسان باطنه كان منافقاً ولايخفى ما فرضه القرآن على المسلمين من نشر دينهم بقوة السيف الى ان يدين بالاسلام كل العالم ولا تكون في الارض فتنة ويكون الدين كله لله في مثل هذه الظروف يتخير الرجل الملزم بالاسلام كرهاً خصلة من خصلتين اما الموت الزؤام او كلمة يقولها وينجو بحياته فيقولها نفاقاً ورياء وهذا من اردإ انواع الاختلاف يحرم الشيء لقبحه فاذا كان فيه مغنم حلله وحض عليه نعم قد اضاف القرآن خصلة ثالثة لاهل الكتاب وهي دفع الجزية وهم صاغرون ان لم يرغبوا في الاسلام ولا في القتال (سورة التوبة آية ٣٠ وسورة المائدة آية ٤٤ وسورة الصف آية ١١ وسورة الحج آية ٧٨) الا ان دفع الجزية ضرب

من الاكراه وقد اسلم من اهل الكتاب خلق كثير تخلصاً من الجزية وما بلغت اليه من المغارم الفادحة في عهد الحكام الظالمين رافعين شكواهم الى رب العالمين .

يحرم القرآن الى حد معلوم خطيئة الهوى وعلى ذلك قوله «واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى» (سورة النازعات ٤٠و٤١)فنقض ذلك باباحة تعدد الزوجات بالاضافة الى ما كان مملوكاً من السراري (سورة النساء٢٣) واباح لمحمد من هذه الحيثية اكثر من سائر المسلمين بل اباح له ما هو محظور عليهم فمن ذلك قوله «واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان امر الله مفعولا» وقوله «ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدراً مقدوراً» وقوله «يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة

مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكي لا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً ترجي من تشاء منهن و تؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن الخ (سورة الاحزاب ٣٧و٣٨و٤٩—٥١) ونعلم من الحديث الصحيح ان محمداً منح له ان يتمتع بالنساء اكثر من سائر المسلمين لرجحانه عليهم في الهوى والصبابة اليهن وزد على ذلك ان الجنة التي وعد بها في دار البقاء والخلود هي تلذذ غير محدود بحورٍ عِين حتى وان كان احد غير مستعبد للهوى فما دام مسلماً لامناص له من هذه الجنة(سورة الرحمن ٤٦—٧٨ وسورة الواقعة ١١—٣٩) وانظر كتاب مشكاة المصابيح في صفة الجنة) فالقرآن من هذه الحيثية اردأ من ان يخالف بعضه بعضاً على انه من الاختلاف ايضاً غير معصوم فكيف يكون هوى النفس محرماً في الدنيا وهو في الجنة مباح ؟!

والخمر محرم على المسلم هنا على الارض كما جاء في سورة المائدة (آية٩٣) «يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون» قابل ايضاً سورة

البقرة (آية ٢١٦) ولكن في الجنة للمؤمنين انهار من خمر كما ورد في سورة محمد (آية١٦) «مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين» (وقابل سورة الدهر آية ٥ وسورة التطفيف آية ٢٥)

واقوال القرآن عن المسيح يسوع لا تخلو من التناقض. فبعض الآيات تتكلم عنه كمجرد انسان ونبي كسائر الانبياء وتنكر لاهوته بتاتاً كما ورد في سورة المائدة (آية ١٩) « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم. قل فمن يملك من الله شيئاً ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعاً» وراجع (آية١١٣ و١١٤) من السورة وكذلك آل عمران (آية ٤٩) وقيل ايضاً في سورة الزخرف (آية ٥٩) «ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني اسرائيل»ثم توجد بعض الآيات الاخرى التي تعطي لهاعظم الالقاب التي لم تعط فيه لغيره البتة منها « كلمة الله » (سورة النساء آية ١٦٩) وهذا اللقب لا يصح ان يسمى به اي مخلوق كان. ويذكر له وحده معجزة الولادة من العذراء (سورة الانبياء آية ٩١) وانه «وجيه في الدنيا والآخرة » (سورة آل عمران آية ٤٠) ويقول البيضاوي «الوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة». وفي سورة المائدة

قيل «واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» وجاء في الحديث تفسيراً لهذه الآية كما اخرجه مسلم والبخاري والغزالي وغيرهم «كل ابن آدم عند ولادته ينخسه الشيطان باصبعيه في جنبيه الا عيسى بن مريم ذهب ليطعن فطعن في الحجاب» (راجع مشكاة المصابيح الكتاب الاول الباب الثالث) ويشهد القرآن لمعجزات المسيح (سورة البقرة آية ٢٥٤) وانه خلق طيراً من الطين مع ان قوة الخلق هي من صفات الله وحده وهو الفريد من بين الانبياء اولي العزم الذي لا يذكر له القرآن خطية. ولا نجد فيه عن اي نبي آخر ان ولادته كانت بقوة الروح القدس «والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين» (سورة الانبياء آية ٩١) وانه آية للعالمين (كما مر) وانه «روح من الله» (سورة النساء آية ١٦٩) وكل الانبياء اموات ما عدا يسوع كما يقول القرآن ان الله رفعه اليه (النساء آية ١٦٩) وهو حي في السماء. ويوافق المسلمون المسيحيين في الاعتقاد ان المسيح سيرجع في انتهاء العالم لم يكن يلزم للمسيح ان يشرح صدره ويوضع عنه وزره كما قيل عن محمد في سورة الشرح والقول بمغفرة خطاياه يناقض ما جاء في سورة (محمد آية ١٩) «واستغفر لذنبك وللمؤمنين وللمؤمنات» ولا تصل عليه امته ولا تسلم كما امر محمد (مشكاة المصابيح وجه ٨٦)

من المعلوم ان لا نبي يحتاج لشفاعة امته وصلواتها الا هو .

في كل هذه النقط يتفق المسلمون مع المسيحيين على الفرق الموجود بين المسيح واي نبي او انسان آخر. والقرآن لا يعطي محمداً المقام الذي يعطيه ليسوع ولا شك ان غرض القرآن هو استبدال المسيح بمحمد كرأس الجنس البشري . وهذا الامر عجيب جداً ومتناقض حيث ان القرآن لا يسند لمحمد ولادة بمعجزة ولا يقول بعصمته ولا ينسب له القدرة على المعجزات ولا حتى صفات حميدة شريفة كما سنظهره في آخر هذا الفصل وما يليه .

ومن اهم تعاليم القرآن ان القدر هو سبب سعادة او شقاء الانسان في الآخرة . كما جاء في سورة الاسراء آية ١٣و١٤ «وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا» وفي سورة ابرهيم آية ٤ «فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء» وورد نفس القول في سورة المدثر آية ٣٤ ثم معناه في سورة البقرة آية ٥و٦ والنساء آية ٩ والانعام ١٢٥ والاعراف ١٧٧و١٧٨ الخ ثم نجد في سورة الاعراف آية ١٧٨ « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس» وفي سورة هود آية ١٢٠ « ولأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين » (راجع

سورة السجدة آية ١٣) وان ذلك كان غرض الله تعالى من الخلق مع انه في اماكن اخرى نجد ان الناس سيجزون حسناً في العالم الآتي اذا كانوا مسلمين ويعاقبون اذا لم يكونوا كذلك. فاذا كان كل عمل قد قدر على الانسان من قبل والانسان ليس له حرية ارادة فينتج ان الانسان لا يكون له استحقاق او عدم استحقاق ولا يكون صالحاً او طالحاً وليس له ثواب او عقاب فان الثواب والعقاب عبارة عن جزاء خير او شر . ولا تكون للاوامر والنواهي الالهية فائدة حيث انه لا توجد في الانسان مقدرة على الطاعة او عدمها لان القدر سجل كل شيء من ذي قبل. ولكن القرآن يحتوي على اوامر ونواهي ويصرح انها انزلت من العليم ففي بعض الاماكن يخبر القرآن محمداً ان مساعيه لاهداء الناس عبث لان الله نفسه جعل من المستحيل عليهم الايمان كما ورد مثلاً في (سورة البقرة آية ٥و٦) «ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم» ثم نراه مأموراً ان يسعى في هدايتهم لا بالعنف بل باللطف كما جاء في سورة البقرة آية ٢٥٧ «لا اكراه في الدين» وفي سورة النور آية ٥٤ « قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل

وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين»
وفي سورة الغاشية آية ٢١ و٢٢ «فذكر انما انت مذكر لست عليهم
بمسيطر»

ولكن في مكان آخر نجد تعليماً مناقضاً تماماً لهذا التعليم فكل واحد
يعرف ان المسمى «نبي السيف» ادعى ان الله امره ان ينشر الاسلام
بالقوة كما ورد في سورة البقرة آية ٨٦- ٨٩و٢١٢ وسورة النساء ٧٦
و٩١ وسورة الانفال آية ٤٠ وسورة الفتح آية ١٦ وسورة التحريم
آية ٩ فنجد من المناقضات شيئاً كثيراً. ولا فائدة من القول ان
الآيات المتأخرة نسخت الآيات الاولى كما ورد في سورة البقرة آية
١٠٠ «ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها» وايضاً سورة
النحل آية ١٠١ واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت
مفتر بل اكثرهم لا يعلمون» ان هذه انما اتى بها لكي تبعد عن الاذهان
تناقض القرآن لذاته. ولنا مثال حسن عن ذلك اذا قابلنا البقرة آية ٦٢
مع سورة آل عمران آية ٨٥ ففي الاولى نرى ان المسلمين واليهود
والمسيحيين والصابئين خالصون في قوله «ان الذين آمنوا والذين
هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً
فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» وفي الثانية

نرى ان المسلمين وحدهم لهم الخلاص اذ قال «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» ومن السهل علينا ان نظهر مناقضات اخرى في القرآن حيث ان علماء المسلمين انفسهم يصرحون ان في القرآن لااقل من مائتين وخمسة وعشرين آية منسوخة . وكثير من هذه الآيات المنسوخة هي خاصة بالعدل والمباحات الدينية ونرى الله الغير المتغير يأمر بعد ذلك المسلمين بالجهاد والحرب واضطهاد الناس رغماً عن ارادتهم (البقرة ٢١٧ و٢١٨ وسورة التوبة ٦و٢٩) .

ويوجد نوع مهم آخر من التناقض في القرآن يجب على المسلمين ملاحظته وهو يختص بما في القرآن عن التوراة والانجيل. فقد رأينا آنفاً ان القرآن يصرح انه «انزل» مصدقاً لسائر الكتب وليحفظها من التغيير والتبديل ولكنه في امور كثيرة يناقضهما معاً . ومن هذه المناقضات التامة تعاليم جوهرية في الانجيل مثلاً موت المسيح على الصليب اتماماً للنبوات وكفارته عن خطايا العالم كله ولاهوته وقيامته وانه وحده القادر على تخليص انفس العالم. وواضح انه لايمكن للغير المتغير ان ينزل وحياً يخالف قصده الازلي وطريقه المعين للخلاص ومواعيده وشريعته الادبية وتعاليمه الالهية. وعدا ذلك فان دعوى

القرآن انه وحي جديد ودعوى محمد انه نبي برسالة جديدة تخالفان تعاليم العهد الجديد كما يتضح ذلك من قول الرب يسوع المسيح «السماء والارض تزولان ولكن كلامي لايزول» (متى ٢٤: ٣٥) وقابل (مرقس ٨: ٣١ ولوقا ٢١: ٣٣ ويوحنا ١٢: ٤٨) ويقول بولس الرسول ولكن ان بشرناكم نحن او ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن اناثيما. كما سبقنا فقلنا اقول الآن ايضاً ان كان احد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن اناثيما (غلاطية ١: ٨ و٩) اذاً فلا محل لاي وحي جديد ينزله جبرائيل او غيره سواء كان انساناً او ملاكاً. ففي هذا الامر يناقض القرآن نفسه فهو اولاً يشهد بصحة الكتاب وبتصديقه له ثم يعلم تعاليمَ تخالف تعاليمه الجوهرية .

وفي امور ثانوية اخرى كثيرة يناقض القرآن ايضاً نفسه باختلافه عن الكتاب المقدس الذي جاء مصدقاً له. ففي سورة مريم آية ٢٣ يقول ان المسيح ولد تحت نخلة مع ان الكتاب المقدس يقول انه ولد في خان ووضع في مذود (لوقاص ٢) ويقول القرآن انه تكلم وهو في المهد سورة آل عمران آية ٤١ وسورة المائدة آية ١٠٩ وسورة مريم آية ٣١) وانه لما كان صبياً خلق من الطين طيراً (سورة آل عمران اية ٤٣) وسورة المائدة اية ١١٠) لا ننكر ان هذه معجزات ولكن

الانجيل يصرح ان اول معجزة صنعها كانت في بدء خدمته الجهارية في الثلاثين من عمره (لوقا ٣:٢٣ ويوحنا ٢:١١) وكذلك في الواجبات الادبية يخالف القرآن الانجيل فان المسيح علم ان يحب الناس اعداءهم ومحمد علمهم أن يجاهدوا في سبيل الله. قال المسيح في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون (متى ٢٢:٣٠ ومرقس ١٢:٢٥ ولوقا ٢٠:٣٥) غير ان القرآن يعلم انه سيكون في الجنة للمسلمين ما لا يحد من الملاهي واللذات الشهوانية .

ومن المحال رفض هذه الحجج بدعوى ان الكتب المقدسة التي بايدي اليهود والنصارى محرفة اذ قد فندنا هذا الزعم تماماً في اول هذا الكتاب. كان الامر سهلاً لو كانت هذه الدعوى من كتاب لا يزعم انه منزل من الله كما يقول القرآن . وكل واحد يصادق على ان كل مؤلف لكتابٍ متأخر يمكن ان ينخدع سيما متى كان ملقنوه جهلة اعتمدوا على خرافات شائعة وليس على الكتاب المتقدم نفسه . ولكننا لا نرغب ان نستنتج مثل هذا الاستنتاج عن القرآن نفسه بل نفضل ان نترك الامر لاخواننا المسلمين ليحكموا لانفسهم. ولا شك ان القارئ العزيز قد رأى ان القرآن ليس فيه حجة وافية على وحيه.

اذا كان القرآن من الله تعالى فلا بد ان تعاليمه تكون في كل

شيء ارقى واشرف وارفع عن ما جاء في الانجيل . كما ان الانجيل في امور خاصة ارفع وارقى من التوراة ولكن ليس الحال كذلك لان الانجيل لايعد المؤمنين في الدار الاخرى بأكل وشرب وامور عالمية بل بافراح روحية كسلام القلب والطهارة ومحبة الله وخدمته. فالانجيل يعلمنا ان المؤمنين الحقيقيين بالمسيح الذين يثبتون في محبتهم وطاعتهم لله ويكونون امناء حتى الموت فهؤلاء يدخلون الى المنازل المقدسة التي اعدها لهم يسوع المسيح ويسكنون دائماً ابداً في الحضرة الالهية «وعبيده يخدمونه وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم» (رؤيا يوحنا ٢٢: ٣و٤) وينهى الانجيل عن استعمال القوة في الامور الدينية ويترك للانسان حرية تامة لقبول او رفض الحق. اذا اراد احد ان يؤمن بالمسيح فالروح القدس يساعده ويمكنه من قبول ولادة روحية جديدة ويهبه الهدى والخلاص . والذين يرفضون المسيح ليسوا ملزمين بالايمان به ولكنهم يحكمون على انفسهم بالدينونة (يوحنا ٣ : ١٨ — ٢١) وعلاوة على ذلك فالانجيل خلافاً للقرآن يمنح راحة القلب والثقة بنوال السلام مع الله الذين يأتون اليه بواسطة يسوع المسيح . وكل مسيحي حقيقي يعرف ذلك من اختباره ولكن بحسب القرآن يبقى الانسان طول حياته بين الشك واليقين فيما اذا كان من السيئ

لحظ الذين حكم الله عليهم بالهلاك وخلقهم للهلاك .

البشارة (الانجيل) معناها اخبار مفرحة وهذا هو القصد منها اذ يعلن ان الله لم يخلق نفساً للهلاك بل بالعكس «يريد ان جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون» (١تيموثاوس ٢:٤) ولكي ينال الناس هذه النعمة ارسل ابنه الوحيد الى العالم كي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية (انظر يوحنا ٣:١٦) فالانجيل يعلم بوضوح ان لا يهلك احد الا الذين يرفضون محبة الله ورحمته المقدمة في شخص يسوع ولا يؤمنون به ولا يعترفون بدعواه ولا يقبلونه مخلصهم وشفيعهم الوحيد عند الله فيفضلون الظلام على النور لان اعمالهم شريرة ولا يقبلون محبة الحق كي ينالوا الخلاص .

واذا كان القرآن هو آخر واتم وحي للانسان فلا بد ان يبين لنا اكثر من الانجيل واحسن منه عن قداسة الله وعدله ورحمته وعن طاعة تامة لشرائع الله ويظهر نجاسة الخطية روحياً وطريق الخلاص والحاجة الى قداسة روحية وعن محبة الله لنا وعن ضرورة محبتنا له وواجبنا نحو الله ونحو الانسان ولزوم طهارة القلب ويصور لنا الجنة صورة أشرف واطهر مما جاء بها العهد الجديد. فالذين قرأوا

القرآن والكتاب المقدس يحكمون لانفسهم اذا كان القرآن حقاً فاق على الانجيل في ذلك .

اذا فحصنا محتويات القرآن لنعرف اذا كان من الله ام لا يعترضنا هذا السؤال كيف نعرف ماهية القرآن وحقيقته اذا لم يكن من الله فيوجد جواب تام لهذا في مصادر الاسلام. يؤكد العلماء ان كثيراً من الحكايات القرآنية ومن الفروض والطقوس الاسلامية مأخوذ من الاديان الاخرى والكتاب المذكور يقدم البراهين على ذلك . فالقارئ العالم يجد فيه اجزاء من الكتب الفارسية والهندية وقدماء المصريين وغيرهم من الامم السالفة وان مؤلف مصادر الاسلام يؤكد ان هذه الاجزاء المدرجة بالقرآن هي في اغلب الاحيان مأخوذة منها ويقدم البراهين ايضاً على انه توجد غير تلك اشياء اخرى كثيرة هي خرافات كانت شائعة بين جهلاء اليهود والنصارى في وقت محمد لا أثر لها في الكتاب المقدس .

وعلاوة على كل ذلك فمن يفحص كتاب سيرة ابن هشام يرى ان زيداً بن عمرو بن نوفل قبل محمد علم بما يأتي (١) التوحيد (٢) رفض عبادة اللات والعزى وبقية الاصنام التي يعبدها العرب (٣) السعادة في الجنة (٤) تحذير الاشرار بعقاب النار (٥) اعلان غضب الله على

الكافرين (٦) ذكر هذه الاسماءالله–رب والرحمن والغفور (٧) منع دفن البنات احياء . وقال ايضاً مع الحنفاء اننا نبحث عن « ملة ابرهيم » . ومحمد نفسه صرح انه يدعو الناس الى ملة « ابرهيم » والقرآن في مواضع كثيرة يدعو ابرهيم حنيفاً (سورة آل عمران اية ٨٩ وسورة النساء اية ١٢٤ وسورة الانعام ١٦٢) وفي الجزء الثالث من كتاب الاغاني وجه ١٥ ان محمداً قابل زيداً بن عمرو وتحادث معه قبل ادعائه النبوة .

ومؤلف مصادر الاسلام يؤيد قوله بان قصة المعراج الواردة في سورة الاسراء وفي الاحاديت هي على نسق حكاية الشاب الزردشتي التقي الوارد في كتاب فارسي يسمى «ارتائي ثيراف نامك» وفيه ان ذلك الشاب صعد الى النجوم وعند رجوعه قال ما زعم انه رآه. وان المؤرخ العربي ابا الفدا في كتابه «التواريخ القديمة من المختصر – في اخبار البشر » يذكر فروضاً ادخلت الى الاسلام وامر بها القرآن والحديث فيقول «كان العرب في الجاهلية يفعلون اموراً قد اتخذها الاسلام ودونها في شريعته » ويذكر ابو الفدا عوائد ادخلت الى الاسلام من وثني العرب في الجاهلية منها منع التزوج بالامهات والبنات والجمع بين الاختين والحج للكعبة وليس الاحرام

والطواف والسعي ورمي الجمار كالوضوء والغسل وفرق الشعر وتقليم الاظافر الخ وقال ان وثنيي العرب كانوا يختتنون ويقطعون يد السارق. لا شك ان البعض يقولون مع ابن اسحق (جزء١ وجه ٢٧) ان هذه العوائد كانت من ايام ابرهيم . هذا صحيح عن الختان ولكن ليس صحيحاً عن العوائد الاخرى المشار اليها سابقاً ولا يعقل ان الله باعطائه وحياً جديداً لامة يأمرهم باستعمال الفرائض التي يقيمونها قبلا وايضاً هذا لا يوافق المعتقد ان القرآن كان مكتوباً على اللوح المحفوظ في السماء منذ اجيال قبل ان تكون العرب .

يقول المسلمون ان القرآن يعلم شيئاً كثيراً عن علم الله وعن الآداب وعن الحكم بالعدل وعن الحياة الآتية فلذا هو من الله . نقول لاشك انه كذلك ولكن هذه الحجة تكون قوية اذا كان القرآن يفوق الكتاب المقدس في سمو تعاليمه عن هذه الامور ولكن حيث قد رأينا ان صفات الله وذاته في القرآن ليست باتم منها في الانجيل بل والحق يقال ان قول القرآن عن عزم الله ليملأ جهنم بالانس والجن (سورة هود آية ١٢٠ وسورة السجدة ١٣) وسماحه تعالى لمحمد بالتلذذ بالنساء اكثر من سائر المسلمين وامره بالجهاد لانتشار الاسلام وغير ذلك من امور مهمة تبرهن ان تعاليم القرآن ادنى بكثير من

شريعة موسى. فالعهد القديم لم يصرح بتعدد الزوجات عموماً (مع انه سمح لليهود به ضمناً وقتاً من الزمن)؟ فوحدة الزوجة هي شريعة الله للانسان كما هو ظاهر في (تكوين ٢: ١٨—٢٤) واوضحه المسيح في (متى ١٩: ٣—٩ ومرقس ١٠: ٢—١٢) وشدد عليه رسله كما في (١ تيموثاوس ٣: ٢—١٢ و١ كورنثوس ٧: ٢) بل حرم المسيح شهوة العين على هذه الارض كما جاء في (متى ٥: ٢٨) ولكن القرآن يجعل المسلم يؤمل بشهوات جسدية لا حد لها في الجنة امام وجه الله سبحانه وتعالى وهذا التعليم لا ينتج طهارة قلبية هنا على الارض اما عن الحكم بالعدل فيحسن بنا ان نسأل هل وجد حاكم عادل في البلاد الاسلامية في اي زمن في التاريخ الماضي والحاضر؟

لا ننكر ان القرآن يخبرنا شيئاً كثيراً عن العالم الآتي وخصوصاً عن عذاب الجحيم وملذات النعيم وليس لنا ان نبحث في الاول منها هنا فقط نذكر اخواننا المسلمين بشيئين عن الجحيم الاول في (سورة مريم آية ٧١) قوله «وان منكم الا واردها كان على ربك حتماً مقضياً» وقد سعى المفسرون جهدهم في تأويل هذه الآية والامر الثاني هو الحديث القائل ان امة واحدة من الطوائف الاسلامية هي التي ستخلص فمن هذين الدليلين نرى اذا كنا مسلمين ان الخوف

من الموت ومن يوم الدينونة يظلل حياتنا كلها . فالمسيحي الحقيقي ينتظر بفرح يوم القيامة والمسلم يخاف منه

ولا يجمل بنا ان نمر على امر الملذات الموعود بها المؤمن في الجنة بدون ان نقدم بعض ملاحظاتنا . فنجد لها وصفاً كاملا في (سورة البقرة آية ٢٣ وسورة النساء آية ٦٠ وسورة الرعد آية ٣٥ وسورة يس آية ٥٥—٥٨ وسورة الصافات آية ٣٩—٤٧ وسورة محمد آية ١٦—١٧ وسورة الرحمن آية ٤٦—٧٨ وسورة الواقعة آية ١١—٣٧ وسورة الدهر آية ٥ و١١—٢٢ وسورة المرسلات آية ٣١—٣٦ وسورة التطفيف ٢٢—٢٨) وحباً في الاختصار اوردنا هنا بعضها

«مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرت » (سورة محمد ١٦و١٧) .

«السابقون السابقون اولئك المقربون . في جنة النعيم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين . على سرر موضونة . متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون. باكواب واباريق وكأس من معين. لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون. ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون.

لا يسمعون فيها لغواً ولا تاثيما.الا قيل سلاماً سلاماً واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكاراً عرباً اترابا»

(سورة الواقعة ١٠ — ٣٩)

«وجزاهم بماصبروا جنة وحريراً. متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً . ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا. ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريراً. قوارير من فضة قدروها تقديراً. ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا. عيناً فيها تسمى سلسبيلاً ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً.واذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً. عاليهم ثياب سندس خضرواستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً (سورة الانسان)

«ولمن خاف مقام ربه جنتان. فبأي آلاء ربكما تكذبان.ذواتا أفنان فبأي آلاء ربكما تكذبان . فيهما عينان تجريان . فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان.فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنا الجنتين دان.فبأي آلاء

ربكما تكذبان. فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان. فباي آلاء ربكما تكذبان. كأنهن الياقوت والمرجان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. هل جزاء الاحسان الا الاحسان. فباي آلاء ربكما تكذبان. ومن دونهما جنتان. فباي آلاء ربكما تكذبان. مدهامتان. فباي آلاء ربكما تكذبان. فيهما عينان نضاختان. فباي آلاء ربكما تكذبان. فيهما فاكهة ونخل ورمان. فباي آلاء ربكما تكذبان. فيهن خيرات حسان. فباي آلاء ربكما تكذبان. حور مقصورات في الخيام. فباي آلاء ربكما تكذبان. لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان. فباي آلاء ربكما تكذبان. متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان. فباي آلاء ربكما تكذبان. تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام» (سورة الرحمن) .

وفي الحديث كثير جداً من ذلك في البخاري ومشكاة المصابيح وعين الحياة بعنوان «وصف الجنة واهلها» ولكننا نكتفي بايراد جزء قليل مما جاء في احياء العلوم للغزالي .

«سئل رسول الله (ص) عن قوله ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون داراً من ياقوت احمر في كل دار سبعون بيتاً من زمرد اخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين

في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لو نا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة يعني من القوة على جميع ذلك» ثم قال قال (صس) ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء واربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب الخ الخ» (الاحياء)

وعندما تدرس كل ذلك ترى انه بحسب القرآن والحديث سعادة المسلم الآتية هي لبس الحرير والاتكاء على ارائك من استبرق والاكل من كل فاكهة زوجان وارتشاف خمر لذة للشاربين والتلذذ بحور العين وقاصرات الطرف . فمثل تلك الجنة مادية ملأى بكل ما تريده نفس الانسان الشهوانية ولا محل فيها للقديسين والطاهرين من الرجال والنساء. يهرب منها الطاهرون كما هربوا على الارض من النهم والخمور والفجور. مثل هذه الجنة لا يصح ان الله القدوس الذي تبغض ذاته كل خطية واثم يعدها للمؤمنين. كيف ان الروح البشرية التي خلقت لمعرفة وخدمة الله التي تطلب سعادة روحية في محبة خالقها والقرب منه تفرح وتسر بمثل هاتيك الامور الدنيوية . وحتى هنا على الارض يرى المتهتكون ان هذه الملذات الشهوانية تنتج شقاء لا سعادة. فوصف الجنة في القرآن يدل على انه لا يمكن ان يكون من الله. ان للفسر محيي الدين لما رأى ذلك سعى ان يؤوله الى معنى روحي

فقال تفسيراً لسورة الواقعة آية ١٨ «اكواب وآباريق — من خمور الارادة والمعرفة والمحبة والعشق والذوق ومياه الحلم والعلوم الخ» ولكن معظم المسلمين ان لم يكن كلهم اعتبروه هرطوقياً وقالوا بحق ان القرآن والحديث معناهما حرفي .

وفي بحثنا في محتويات القرآن يجب ان لا نغفل عن التفات نظر القارئ الى انه لا يسد عوز واشتياق البشر روحياً الذي هو من اهم امور الوحي للانسان فان الله وضع في قلب الانسان ذلك الاشتياق حتى لا يجد راحة الا مع الله . يقول بعض كتبة المسلمين ان القرآن يخيف الناس ويجعلهم يبكون كما جاء في حديث النجاشي ملك الحبشة (مع العلم انه يجهل العربية) انه بكى عند سماعه بعض القرآن . وبفرض صحة ذلك لا يمكنهم البتة القول بان القرآن يمنح سلاماً للقلب كما منح المسيح المؤمنين به في كل الاجيال ولا يزال يمنح (يوحنا ١٤:٢٧) بل بالعكس توجد فيه آيات مثل قوله «وان منكم الا واردها كان على ربك حتماً مقضياً» مع الاعتقاد بالقدر تجعل كل مسلم عاقل يقضي حياته في فزع دائم من الموت . ولا يعلن القرآن الله تعالى للانسان كي يعرفه . وهذا واضح من كتابة المسلمين بعدم امكانية معرفة الله حتى في الكتب المقصود بها التعليم والارشاد فواضح انه حيث لم يرشد

القرآن الى معرفة تامة عن الله وان محمداً نفسه صرح بان معرفته عن الله ليست كما يجب فالاسلام في هذا الامر المهم جداً لا يسد احتياج الانسان .

والقرآن لا يعلم ان طهارة القلب ضرورية قبل الاقتراب من الله. بل بالعكس كما رأينا يحتوي القرآن على عبارات مضادة لامكانية طهارة قلب الانسان ويظهر منها ان الله لا يعمل بحسب قداسته وعدله ورحمته ومحبته. ولا يظهر القرآن كيف ينال الانسان مغفرة خطاياه ويحسب باراً امام الله. صحيح انه توجد فيه فروض لها جزاء ولكن لا مفر من القدر في القرآن والقدر هو الحكم في مستقبل الانسان هناء او شقاء. ولا توجد كفارة فيه ولا يعين كيف يكسر الانسان قيود الخطية وهو عبدها .

يقول بعض المسلمين ان محمداً سيشفع لشعبه في يوم الدينونة ويقول آخرون انه الآن وهو ميت له نفوذ عند الله . ولكن كل ذلك مخالف تماماً للكتاب المقدس الذي يدعي القرآن بتصديقه. فمن (يوحنا ١٤:٦ واعمال ٤:١٢ و١تيموثاوس ٢:٥و٦) يتضح انه لا يوجد شفيع او وسيط غير يسوع . بل ولا يوجد في القرآن نفسه عبارة تثبت وساطة محمد بين الله والانسان. لا حاجة لنا للحديث في هذا

الموضوع فان المأمور في القرآن بالاستغفار لذنوبه لا يمكنه ان يكون وسيطاً لدى الله. نعم ان الانسان الذي اخطأ وتاب يمكنه الصلاة لله لمغفرة ذنوب الآخرين كالذنوب نفسه ولكن هذا امر آخر. القرآن والحديث يصرحان ان نبي العرب يستغفر لذنوبه وذنوب امته ففي سورة غافر آية ٥٥ «فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار» وفي سورة النساء آية ١٠٥ «واستغفر الله ان الله كان غفوراً رحيماً» وهاتان الآيتان تشابهان الآيات الواردة في القرآن ان الله وعده ان يغفر ذنوبه كما في سورة الفتح آية ١ و٢ «انا فتحنا لك فتحاً مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» ويقول ابن عباس ما معناه ذنوبه قبل النبوة وذنوبه الى يوم موته وقال الزمخشري في كشافه «يريد جميع ما فرط منك ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد» وعلى الفرض ان القرآن قد نزل من الله تعالى نرى هنا امراً مهماً عن محمد فان كلمة «ذنب» المستعملة لمحمد في القرآن ليست اقل من خطية ففي آية الرحمن آية ٣٩ كلمة ذنب مستعملة للانس والجان وفي سورة القصص آية ٧٨ نرى كلمة «ذنب» مساوية لكلمة «جرم» ونرى كلمة ذنب مستعملة ايضاً للكذب والافتراء والشهوة وعدم الايمان ولامور

اخرى كثيرة من اكبر الخطيئات كما في سورة يوسف آية ٢٩ وسورة الملك آية ١١ وسورة الشمس آية ١٤ وغير ذلك وفي سورة محمد آية ١٩ نراه يخاطب محمداً قائلاً «واستغفر لذنبك وللمؤمنين وللمؤمنات» فهنا نرى كلمة ذنب خاصة به دون تابعيه من المؤمنين والمؤمنات كما فسرها بعضهم اعتسافاً. وفي سورة الشرح «ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك» فهل يمكن ان نخطئ جميع هذه الآيات الواضحة؟ حقاً إن الكمال لله وحده .

والحديث يوافق القرآن في هذا الامر سواء كان في كتب السنة او الشيعة ولنأخذ قليلاً من الامثال المؤيدة ذلك. روى احمد والترمذي وابن ماجه كما في مشكاة المصابيح عن فاطمة ان محمداً كان يقول عند دخوله المسجد «رب اغفر لي ذنوني وافتح لي ابواب رحمتك» وعند خروجه رب اغفر لي ذنبي وافتح لي ابواب نعمتك» وعن عائشة اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الاعلى «الجامع الصغير» وعنها «اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بكَ منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك» وعن ابي موسى اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما أنت اعلم به مني. اللهم اغفر لي خطإي وعمدي وهزلي وجدي وكل ذلك

عندي اللهم اغفر لي ما اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير» وروى البيهقي عن عائشة في كتاب الدعوة الكبرى انها سألت النبي قائلة ألا يدخل احد الجنة الا برحمة الله فقال لا يدخلها احد الا برحمته تعالى قالت ولا انت قال ولا انا الا ان تغمدني الله برحمته» وكرر ذلك ثلاثا. وروى الامام جعفر ان محمداً بات ليلة عند ام سلمة وبينما كان يصلي بكى وقال اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ولا تنزع مني صالح ما اعطيتني» قالت له ام سلمة لقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فلماذا تقول هذا فقال لها يا ام سلمة كيف اكون آمناً من نفسي وقد ترك الله يونس لنفسه طرفة عين ففعل ما فعل» وقال محمد الباقر ان محمداً بات ليلة عند عائشة وصرف وقتاً طويلاً في الصلاة فقالت له لماذا تتعب نفسك وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا عائشة الا اكون عبداً شكوراً» وروى انه في نهاية خطابه يوماً لتابعيه قال اللهم اغفر لي ولأمتي وخاطبهم اني اسأل الله المغفرة لنفسي ولكم» ويوجد غير ما تقدم احاديث كثيرة سنية وشيعية ولكن ما ذكر فيه الكفاية

وهذه الاحاديث تبين لنا في بحثنا عن محمد وتؤكد انه كان كبقية ابناء البشر يشعر بضرورة رحمة الله ومغفرته والقرآن يشير الى

خطايا انبياء العهد القديم فلآدم (البقرة٣٣ و٣٤ وطه ١١٩) ولنوح (نوح ٢٩ (ولابرهيم (الانعام والبقرة) وموسى (الاعراف والشعراء والقصص)وهرون ويوسف(سورة يوسف) ويونس(سورةيونس) ولا شك انهم تابوا كما يذكر الكتاب المقدس . فنرى في المزمور الحادي والخمسين صلاة داود التي قدمها في توبته . وكل خاطئ يحتاج للتوبة ويطلب المغفرة من الله وطلب المغفرة اقرار بالذنب.كل انسان بشري يمكنه استعمال الصلوات التي قدمها محمد وذكرها آنفاً . وعليه فلا يمكن لمن يحتاج الى التوبة او لمن احتاجها ولو مرة واحدة ان يكفر عن خطايا غيره . والقرآن يقول انه لا ينفع انسان آخر في يوم القيامة ورد في سورة البقرة «واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة» (آية ٤٨ ومكررة في آية ١٢٣) وايضاً في سورة الانفطار «يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والامر يومئذ لله» (آية ١٩) وحيث تبرهن ان محمداً لا يمكنه تخليص امته فلذلك هم يحتاجون لمخلص . والقرآن لا يعلن مخلصاً ولا شفاعة فلذلك هو لا يسد احتياجات الانسان. فالقرآن لا يتم الشروط التي رأيناها في المقدمة لصحة الوحي الحقيقي.فهو في ذلك على عكس الانجيل تماماً كما بينا

في القسم الثاني من هذا الكتاب. المسيح حي ومحمد ميت[1] والمسيح ليس انساناً كاملاً بدون خطية فقط بل كلمة الله « وهو قادر ان يخلص ايضاً الى التمام الذين يتقدمون به الى الله اذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم .

ولا تنس ان الغرض هنا ليس المباحثة بل طلب الحق . ولا ينفعنا التعصب فلننبذه بنعمة الله وقد اجهد المؤلف نفسه في كلامه عن محتويات القرآن ان لا يحيد عن قانون الادب والامانة واللطف وسوف يسير على مبدإه هذا في ما يلي من الفصول ايضاً .

الفصل الخامس

بحث في المعجزات المنسوبة لمحمد وهل هي برهان على نبوته

ليس من الضروري لاثبات نبوة شخص ما ان يعمل معجزات. فانبياء كثيرون لم تكن لهم معجزات واناس آخرون لم تكن لهم الرسالة الالهية واتوا بما يشبه المعجزات . ففي عصر موسى مثلاً فعل سحرة مصر اعمالاً ظهرت كانها عجائب مثل اعمال موسى (خروج٧: ١٠—١٣و٢٢و٨: ٧و١٨) وعلاوة على ذلك اخبرنا الكتاب عن انبياء كذبة

---

(١) كل المسلمين يعرفون ان محل قبر المسيح المزعوم خال وقبر محمد فيه جثته

سيفعلون معجزات (مرقس ١٣: ٢٢ ومتى ٢٤: ٢٤ ورؤيا ١٦: ١٣ و١٤ و١٩: ٢٠) وخصوصاً الذي سيأتي المسمى عند المسلمين بالدجال. قليل من الانبياء الحقيقيين من صنع المعجزات. في العهد القديم لم يعمل احد معجزات حتى ايام موسى وحيث لم يكن موسى نبياً عظيماً فقط بل مشترعاً ومرسلاً بوحي جديد لذلك أعطيت له قوة على عمل المعجزات المذكورة في التوراة. وكان ذلك ضرورياً له ليثبت دعواه انه اتى برسالة من الله وانه يتكلم بسلطان من الله وانه يعلن وحياً الهياً. وهذه القوة على عمل المعجزات اعطيت لايليا واليشع ايضاً لانهما عاشا في وقت كاد الدين يمحى فيه وكان عليهم ان يردوا الشعب الى الله ولكن لم يخبرنا الكتاب ان داود او ارميا او غيرهما من الانبياء الكبار كانت لهم قوة المعجزات. فيوحنا المعمدان الذي كان اعظم نبي الى وقته (متى ١١: ١١ ولوقا ٧: ٢٨) قال عنه اليهود بحق «يوحنا لم يفعل آية واحدة» (يوحنا ١٠ : ٤١) فيتضح انه في وقت الاحتياج الشديد او عند اعلان وحي جديد كان الله يعطي قوة المعجزات دليلاً على الرسالة

فاذا كانت دعوى محمد صحيحة ثابتة بانه خاتم الانبياء وآخر واعظم المرسلين الذي ارسل للعرب الذين لم يقم منهم قبلاً نبي الخ. والذي

قال انه اتى باعظم رسالة الهية وبوحي اعظم من سابقيه وان القرآن املاه عليه جبرائيل الذي انزله في ليلة القدر من السماء السابعة حيث كان مكتوباً على اللوح المحفوظ واعلن ايضاً ان رسالته عامة لجميع الناس ولا تخلفها رسالة اخرى لانه خاتم المرسلين كان من الضروري ان يعمل معجزات ليبرهن هذه الدعوى والا لا تثبت دعواه وحيث انه لم يتنبأ كما بينا سابقاً فيجب علينا البحث في معجزاته .

اما القرآن فيجيبنا جواباً صريحاً حاسماً انه لم يعمل معجزة البتة. وهذا وارد في كثير من الآيات منها «وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون» (اسراء آية ٥٩) وقد فسرها البيضاوي بقوله . وما صرفناه عن ارسال الآيات التي اقترحها قريش (الا ان كذب بها الاولون) الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستئصال على ما قضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن وابن عباس يذكر مثل ذلك المعنى. ولا شك في معناها فهي واضحة بان الله لم يعط محمداً قوة المعجزات التي طلبها منه قريش لانه علم انهم سيرفضونه حتى ولو صحت دعواه

وتوجد آيات اخرى غير هذه فيها هذا المعنى في سورة البقرة

(آية ١١٢و١١٣) «وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون. انا ارسلناك بالحق بشيراً ونذيراً» ويقول البيضاوي ان قريشاً هم الذين طلبوا منه الآيات . فبدلاً من الآيات (المعجزات) التي طلبوها قدم لهم آيات (اعداد) من القرآن كدليل على ارساليته. ومما يظهر ان الآيات هنا معناها اعداد من القرآن ما جاء في سورة البقرة (آية ١٤٦) «كما ارسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا» فهذه الآيات ليست معجزات كما يدعي البعض بل هي اعداد من القرآن والا فما هو معنى الفعل «يتلو». وفي سورة البقرة (آية ٢٥٣) تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين» وفي سورة البقرة (آية ٩٣) «ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون» فالفعل انزلنا يبين ان الآيات انما هي اعداد قرآنية وهي التي يتكلم عنها القرآن دائماً بقوله انزلنا كما في سورة الاعراف (آية ٢٠٢). ومن معنى الآية «واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله» (انعام آية ١٢٤) نرى ان قريشاً طلبت بدلاً من الآيات القرآنية معجزات كالتي عملها رسل الله وقد طلبوا منه ذلك في سورة الانعام (آية٣٧) وسورة يونس (آية ٢١) وسورة الرعد (آية٢٩) وايضاً في

الانعام (آية ١٠٩) «واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون» وهذا يصرح ان محمداً لم يعط قوة المعجزات . ونوع الآية التي طلبتها قريش واضحة في (آية ٣٣ من سورة الرعد) «ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعاً» والبيضاوي في تفسيره هذه الآية يظهر طلب قريش الذي لاجله نزلت هذه الآية وفي سورة (الاسراء آية ٩٢—٩٥) نرى ما يشابه ذلك «وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيراً او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه قل سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولا» .

ومن هذه العبارة يتضح ان قريشاً لم ترض بالقرآن كدليل على ارسالية محمد فطلبوا منه عمل المعجزات المذكورة . فجاوبهم محمد بانه بشر ولا يمكنه عمل مثل هاتيك المعجزات. وعليه فقصة المراج وتدفق المياه من الارض او من بين اصابعه (كما سنرويه بعد) لا يعول عليه لانها لو كانت حقيقة تاريخية لما جاوبهم بمثل ذلك بل كان بالحري

يثبت لهم قدرته على فعل المعجزات . وفي سورة العنكبوت نراهم ايضاً يطلبون نفس الطلب وكان الجواب الرفض كالاول . «وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون» .

فيتضح من هذه العبارات ان القرآن يصرح بعدم اتيان محمد بالمعجزات بل قال ان الآيات القرآنية هي دليل كاف على ارساليته ونبوته (كما في سورة الاسراء) وقد رأينا في الباب للثالث والفصل الثالث من هذا الكتاب ان البلاغة والفصاحة لا تكفيان لان تكونا حجة على انزال كتاب من الله

غير ان بعض المسلمين يقولون ان في القرآن نفسه توجد معجزتان لمحمد اولاهما انشقاق القمر .في سورة القمر (آية١) يقول «اقتربت الساعة وانشق القمر» ولكن هذا القول لا يثبت انها معجزة اتاها محمد لاسباب عديدة منها

(١) اذا كان المقصود منها معجزة فهي تناقض ما جاء في سورة الاسراء والمسلمون يقولون بعدم تناقض القرآن لنفسه

(٢) ان محمداً لم يذكر هنا او في اي محل آخر من القرآن ان له

علاقة بهذه المسألة. ولا يدعوها القرآن معجزة ولا يقول ان انشقاق القمر دليل على ارسالية محمد . ولو كان القرآن قصد ان محمداً عمل مثل هذه المعجزة الباهرة لصرح بذلك كما صرح العهد القديم والعهد الجديد عن معجزات موسى والمسيح وتلامذته بكل وضوح

(٣) اذا كان محمد اتى بهذه المعجزة وشق القمر لكان يجيب بها طلبات قريش الواردة في سورة الرعد وسورة الاسراء وغيرهما مع العلم ان جميع المفسرين متفقون على ان سورة القمر نزلت قبل تينك السورتين

(٤) ان تلفاً او ضرراً يعمل باحدى مخلوقات الله كالقمر يكون علامة على قوة عظيمة ولكنه لا يثبت ان عاملها مرسل من الله

(٥) لو كان قد حصل امراً مثل ذلك يختص بالطبيعة لكان قد علم في جميع الارض وسجل في تواريخ امم كثيرة كحادثة خارقة للعادة ومدهشة. والذين لهم معرفة ببعض علم الفلك ومقدار حجم القمر وماذا ينتج لو انشق الى اثنين وانفلتا على الارض لا يصدقون ذلك

(٦) ولا يوجد تاريخ يذكر مثل هذه الحادثة ولا حتى ظهور انشقاقه بل وبعض اكابر المفسرين ينكرون الزعم بان سورة القمر تشير الى مثل ذلك فمنها قول البيضاوي والزمخشري « قيل معناه

سينشق يوم القيامة » فلو كان الامر صحيحاً لما كان للشك مجال ولا قيل ولا قال او لو كانت الاحاديث القائلة ان محمداً اظهر لاهل مكة انشقاق القمر الى قسمين او الى فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت كما قال ابن عباس او كما قال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر (الزمخشري) او كما قال آخرون فلقة صارت دون الجبل والاخرى فوقه وعلى هامش المشكاة اجتهد الشارح على الهامش في ان يبين كيف لم ير الناس الحادثة فقال «كان بالليل وقت نيام الناس في لحظة فلا يلزم شعور الناس في جميع الآفاق بذلك حتى يجب اشتهاره بين جميع الامم التي كان القمر طالعاً عليهم في ذلك الوقت»

(٧) كلمة «الساعة» معرفة بال لها معنى خاص في القرآن كما في سورة طه وسورة الحج وسورة الشورى وفي مشكاة المصابيح «باب اشراط الساعة» هو يوم القيامة كما يقول البيضاوي فواضح ان يوم القيامة لم يكن قريباً عندما كتبت سورة القمر لانها كتبت قبل الهجرة بزمن طويل وحيث انهم يقولون ان انشقاق القمر علامة من علامات الساعة وقريب منها فيكون المعنى عندما تقوم الساعة ينشق القمر . ومعلوم انه يمكن في العربية استعمال الافعال الماضية بمعنى المستقبل . وقد رأينا انه حتى في وقت البيضاوي فسر بعضهم الآية

بهذا المعنى وها نحن اليوم بعد ذلك بمئات من السنين ولم تأت الساعة فلا شك اذاً ان المقصود بانشقاق القمر انه سيكون حين قيام الساعة وابن عباس يقول ان انشقاق القمر وظهور الدجال علامات أخر تحصل قبل يوم القيامة .

ومن كل ما مضى نرى ان القرآن لم ينسب لمحمد عمل هـذه المعجزة فلا يصح اذاً ان نقتبس هذه الآية دليلا على ذلك وكذلك لا يمكن التمسك بمعجزة لم تحدث الى الآن دليلاً على نبوة محمد

(وقد جاء في المعلقات السبع لامرء القيس قصيدة فيها ست فقرات واردة في القرآن في سورة القمر احداها «دنت الساعة وانشق القمر» وقد مات هذا سنة ٥٤٠م اي قبل ولادة محمد فتأمل !

والمعجزة الثانية التي ينسبها البعض لمحمد هي حادثة غزوة بدر مع ان البعض يقولون بل كانت في غزوة حنين وآخرون احد وآخرون خيبر وقد جاءت في سورة الانفال (آية ١٧) «وما رميت اذ رميت ولـكن الله رمى»

وقال البيضاوي لما طلعت قريش اتاه جبرائيل وقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفاً من الحصباء فرمى بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الاشغل بعينيه فانهزموا

وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت: (وما رميت) يا محمد رمياً توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه (اذ رميت) اي اتيت بصورة الرمي (ولكن الله رمى) اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعاً حتى انهزموا. وقيل مامعناه مارميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن (محمد) بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه (محمد) يوم خيبر نحو الحصن فاصاب لبابة بن ابي الحقيق على فراشه (وهو زوج صفية التي تزوجها محمد بعد مقتل زوجها بقليل) والجمهور على الاول .

ومن هذا الشرح يتضح انه لا يعرف يقيناً عما اذا كانت هذه العبارة تشير الى بدر او احد او خيبر او الى الحصباء التي رماها محمد بل ربما الى طعنة طعنها او سهم رماه . وعلى كل حال لا تثبت انها معجزة عملها محمد . بل بالعكس تظهر الآية ان محمداً لم يقدر على رمي الحصباء في اعين اعدائه او على قتل احد فان الفاعل بالحقيقة لم يكن محمد بل الله . فاذا سلمنا ان الآية تشير الى بدر فليس من الغريب ان يفعل مثل ذلك قائد لكي يشجع جنوده ويثبط اعداءه فاذا كانت

النتيجة الفوز لا يتصور احد بشيء خارق في المسئلة . ولا يمكن ان تكون طعنة انسان معجزة اذا كانت هي المشار اليها .

وعدا هاتين الآيتين يزعم بعض المسلمين وجود آيات بينات في اماكن اخرى من القرآن تنسب لمحمد عمل المعجزات . فاذا كان ذلك صحيح نستغرب جداً كيف لم يصف القرآن معجزة واحدة منها مع انه يخبر نوعاً عن المعجزات التي فعلها يسوع (سورة آل عمران آية ٤٣) فلنفحص تلك العبارات ونرى اذا كانت تشير الى آيات بينات اتى بها محمد .

ففي سورة (الصف آية ٦) «فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين» وهذا اما يشير الى الوعد بمجيء شخص يدعى احمد ولا وعد مثل ذلك في الانجيل واما ان يشير الى المسيح المذكور في الآية نفسها والبيضاوي يؤيد هذا الرأي الاخير بقوله «فلما جاءهم بالبينات قالو هذا سحر مبين» الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحراً للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى عليه السلام» فاذا صح تفسير البيضاوي فلا دليل في العبارة لاتيان محمد بمعجزة. او بعبارة اخرى نرى ان «آيات بينات» الواردة هنا او في اي مكان آخر تشير الى آيات قرآنية كما بينا سالفاً ليس الا

واذا قال أحد ان قوله «سحر مبين» او «ساحر» يؤيد عمل اشياء خارقة للطبيعة ولا يمكن ان تشير الى الفصاحة نجيبه من القرآن نفسه ففي سورة ص (آية ٤) «وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب» وفي سورة الزخرف (آية ٣٠) «ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون» قال البيضاوي « سموا القرآن سحراً» وفي سورة الاحقاف (آية ٦) «واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين» فنرى في هذه الآية نفس ما رأينا في سابقتها والبيضاوي يقول ان المراد بالحق الآيات (الاعداد) .

ويحتج كثير من المسلمين بان في الاحاديث معجزات كثيرة منسوبة لمحمد واننا لا ننكر ذلك كما سترى ولكن علينا ان نفحص صحة الاحاديث الدالة على هذا الامر قبل ان نقبلها كبرهان او دليل فنلاحظ اولاً ان القرآن لم يذكر معجزة لمحمد بل وبين سبب عدم اعطائه قوة المعجزات. فكل مفكر سواء من المسلمين او المسيحيين يرى ان الآية القرآنية اهم بكثير من عدة احاديث ثم انه من السهل جداً ان نفهم لماذا في الازمنة المتأخرة وضعت احاديث تنسب المعجزات لمحمد ومحال ان نتصور ان الآيات القرآنية غيرت او بدلت

لانكار معجزاته ان كان عمل معجزات . ثانياً نرى الذين جمعوا الاحاديث لم تكن لهم معرفة ذاتية عن الحوادث التي جمعوها فكلهم عاشوا بعد محمد بكثير من السنين فكان تعويلهم على اقوال متداولة وقالوا انها مسندة باسانيد موثوق بها . ويرى القارىء في كشف الظنون الجزء الثاني وجه ٣٤—٣٧ ان جامعي كتب الصحاح الستة ماتوا بحسب ما يأتي :

البخاري سنة ٢٥٦ ه ومسلم ٢٦١ ه والترمذي ٢٧٩ ه وابو داود ٢٧٥ ه والنسائي ٣٠٣ ه وابن ماجه ٢٧٣ ه اما كتب الشيعة فبعد ذلك ايضاً الكافي سنة ٣٢٩ ه ومالا يستحضره الفقيه ٣٨١ ه والتهذيب ٤٦٦ ه والاستبصار ٤٠٦ ه ونهج البلاغة ٤٠٦ ه . وان اختلاف اهل الشيعة واهل السنة في الاحاديث مع اتفاقهم في القرآن يدل على عدم الثقة بالاحاديث سيما ما خالف منها نص القرآن . واكثر الاحاديث ثقة هو حديث البخاري في صحيحه ويتلوه مسلم والترمذي . ولكي يظهر للقارىء الكريم كثرة الاحاديث المكذوبة في ايام البخاري نفسه وكم من الموضوعات كانت شائعة اذ ذاك يكفي ان نذكر ان البخاري نفسه يقول انه جمع ١٠٠٠٠٠ حديث ظنه هو صحيح و ٢٠٠٠٠٠ لم يثق بصحته و بعد الفحص والتنقيب حكم بصحة ٧٢٧٥ حديثاً ولما

حذف منها المكرر بقي ٤٠٠٠ فقط وحتى ما بقي ليس كله صحيحاً فكثير منها ما يناقض الواحد الآخر كما في هذه الاسئلة عن معجزات محمد . وجمع ابو داود ٥٠٠٠٠٠ حديثاً وقبل منها ٤٠٠٠ فقط

فعلينا ان نقدم بعضاً من تلك المعجزات المزعومة لتعرف طبيعتها

(١) بعث النبي صں رهطاً الى ابي رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهو نائم فقتله فقال عبد الله بن عتيك فوضعت السيف في بطنه حتى اخذ في ظهره فعرفت اني قتلته فجعلت افتح الابواب حتى انتهيت الى درجة فوضعت رجلي فوقعت في ليلة مقمرة [١] فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة فانطلقت الى اصحابي فانتهيت الى النبي صں فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطت رجلي فمسحها فكأن لم اشتكها قط » رواه البخاري وسنرى في الفصل التالي ماذا تبين لنا هذه القصة عن اخلاق محمد . ولكننا نكتفي هنا بملاحظة ان حكاية قتل ابي رافع حكاها ابن هشام في سيرة الرسول وابن الاثير وكاتب روضة الصفا وفي كل مخالفة للاخرى فالواحد يقول ان ساقه الذي كسر والآخر ذراعه وغيره بل صدره رض فقط . وبعضها كما في

---

(١) يقول في مشكاة المصابيح في هامشها سبب الوقوع اشتباه الدرج لضوء القمر

ابن هشام وابن الاثير لا يذكر ان محمداً شفاه او ينسبها معجزة لمحمد ولكنهم كلهم يتفقون ان قتل الرجل وهو نائم كان بامر محمد . فلو كان محمد عمل معجزة في هذه الظروف لكنا وقعنا في مشكلة ادبية اشد واصعب اذ هل يصح ان نقول ان معجزة الهية تصنع لخير قاتلٍ مثل عبدالله بن عتيك ؟

(٢) توجد اخبار متناقضة ومختلفة عن الماء الذي انبعه محمد لتابعيه العطشى ونجد في مشكاة المصابيح عدداً وافياً منها وسنقدم لك نوعاً «عن جابر قال عطش الناس في يوم الحديبية ورسول الله ص بين يديه ركوة فتوضأ منها ثم اقبل الناس نحوه قالوا ليس عندنا ما يتوضأ به ونشرب الا ما في ركوتك فوضع النبي صلعم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون قال فشربنا وتوضأنا قيل لجابر كم كنتم قال لو كنا مائة الف اكفانا . كنا خمس عشرة مائة» وعن رواية اخرى ١٫٤٠٠ واخرى بين ١٫٤٠٠ و ١٫٥٠٠ واخرى ١٣٠٠ وغيرها ١٫٦٠٠ وغيرها ١٫٧٠٠ وابن عباس ١٫٥٢٥ وروى البخاري نفس هذه الحكاية باختلاف قال «عن البراء بن عازب قال كنا مع رسول الله ص اربعة عشر مائة يوم الحديبية والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ النبي ص فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء

من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة فارووا انفسهم وركابهم حتى ارتحلوا رواه البخاري وقد كررت هذه الحكاية في المشكاة وكل مرة تختلف عن الاخرى

فيرى القارئ انها ليست معجزة اذ تتجمع المياه في البئر بعد تركها مدة وهذا يخالف تماماً ما قيل عن كفاية ١٠٠٠٠٠ رجل من نبع اصابعه

(٣) وتوجد عدة قصص عن اشجار واحجار حيت محمداً كرسول الله وكيف ان الاشجار تبعته او اطاعت اوامره واخترنا للقارىء واحدة كعينة «عن جابر قال سرنا مع رسول الله ص حتى نزلنا وادياً افيح فذهب رسول الله ص يقضي حاجته فلم ير شيئاً يستتر به واذا شجرتين بشاطىء الوادي فانطلق رسول الله صلعم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي عليّ باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يطيع قائده حتى اتى الشجرة الاخرى فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي عليّ باذن الله فانقادت معه كذلك حتى اذا كان بالنصف مما بينهما قال التئما عليّ باذن الله فالتأمتا فجلست احدث نفسي فحانت مني لفتة فاذا انا برسول الله ص مقبلاً واذا الشجرتين قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق رواه مسلم»

(٤) وتروى ايضاً عينة من نوع آخر من المعجزات عن أنس قال

ان رجلا كان يكتب للنبي ص فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين فقال النبي ص ان الارض لا تقبله فاخبرني ابو طلحة انه اتى الارض التي مات فيها فوجده منبوذاً فقال ما شأن هذا فقالوا دفناه مراراً فلم تقبله الارض» وعلماء المسلمين لم يتفقوا مطلقاً على من هو هذا الرجل السيء الحظ .

(٥) وعن جابر قال كان النبي ص اذا خطب استند الى جذع نخلة من سواري المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه صاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت ان تنشق. فنزل النبي ص حتى اخذها فضمها اليه فجعلت تئن انين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر رواه البخاري»

(٦) «عن علي بن ابي طالب قال كنت مع النبي ص بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله رواه الترمذي والدارمي»

(٧) عن ابن عباس قال ان امرأة جاءت بابن لها الى رسول الله ص فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح رسول الله ص صدره ودعا فثع ثعة وخرج من جوفه مثل الجرو الاسود يسعى رواه الدارمي»

(٨) عن ابن عمر قال كنا مع النبي ص في سفر فاقبل اعرابي فلما دنى قال له رسول الله ص تشهدان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله قال ومن يشهد على ما تقول قال هذه السلمة فدعاها رسول الله ص وهو بشاطئ الوادي فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً فشهدت ثلاثاً كما قال ثم رجعت الى منبتها رواه الدارمي»

(٩) وعن ابن عباس قال جاء اعرابي الى رسول الله ص. قال بم اعرف انك نبي؟ قال: ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة يشهد اني رسول الله فدعاه رسول الله فجعل ينزل من النخلة حتى سقط الى النبي ص. ثم قال ارجع فعاد فأسلم الاعرابي رواه الترمذي وصححه»

(١٠) وفي كتاب تركي اسمه مرآة الكائنات القصة الآتية:[1] —

لما خرج محمد الى الطائف قال «فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت اليها فاذا فيها جبريل فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث الله اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت قال ص فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وانا ملك الجبال وقد بعثني اليك ربك لتأمرني

(١) وجدناها حرفياً في السيرة النبوية فنقلناها منه

بأمرك ان شئت ان أطبق عليهم الاخشبين قال النبي ص لا بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبده وحده لا شريك له الخ»

ولا ضرورة ان نزيد من هذه الحكايات فمن يرغب الزيادة فعليه ان يرجع الى روضة الصفا او روضة الاحباب وجامع المعجزات في الفارسية او مرآة الكائنات في التركية وفي كثير من الكتب العربية ذكرنا آنفاً بعضها .

ونجد في الكتب الهندية والوثنية كثيراً جداً من معجزات الاصنام كهذه يصدقها كثيرون من جهلاء الوثنيين في بلاد عديدة. ولكن جميعها تختلف في الاسلوب والماهية عن المعجزات الصحيحة الواردة في الانجيل والتي يشهد القرآن بصحتها . وتلك الحكايات (الوثنية وغيرها) تذكرنا بحكايات الف ليلة وليلة وتثبت ان العرب في الجاهلية كانت لهم قوة التصور وتأليف الحكايات .

ولنلاحظ ان بعض تلك المعجزات التي قد رويناها هي نفس ما طلبته قريش من محمد . فلو كان قد اتاها فعلاً لكان قد ذكر القرآن بعضها ولكن بدلاً عن ذلك نراه يقول ان محمداً ليس بوكيل بل نذير وبشير ويبين سبب عدم اتيانه بالمعجزات مطلقاً .

اذا تفضل قراؤنا بالاطلاع على المعجزات التي صنعها يسوع

وتلاميذه كما هي مدونة في العهد الجديد قالوا ما اعظم الفرق في نوعها عن تلك التي ينسبها الحديث لمحمد مناقضاً القرآن .

ليست معجزات العهد الجديد مجرد حوادث مدهشة خارقة للطبيعة كشجرة تشير وتتكلم وعمود يصرخ ويئن كالطفل او كمسح ساق او ذراع قاتل فتشفى الخ بل هي امثال فعلية ملأى بالتعاليم الروحية وظاهرة بها الرحمة والقوة الالهية مثل ابراء الابرص وفتح اعين الاعمى واقامة الموتى الخ (متى ١١: ٤ و٥ ولوقا ٧: ٢٢) ومعجزات المسيح لم تعمل لنجاة قاتل من احدى نتائج فعلته ولم يكرس القوى الالهية في جعل الاشجار تتكلم والاحجار تصرخ .

وعلاوة على ذلك فمعجزات العهد الجديد كتبت بعد صعود المسيح بقليل في حياة اكثر تلاميذه تحت الارشاد الالهي بعضها كتبها نفس تلاميذ المسيح كمتى ويوحنا وبعضها تحت ملاحظتهم كمرقس ولوقا ويوجد سبب آخر على صحة ما دوّن عن معجزات المسيح وهي كتابتها عند حدوثها. ولكن من الوجهة الاخرى نرى المعجزات التي نسبها الحديث لمحمد لم تكتب الا بعد موته بمئات من السنين. وجاء في الانجيل ان المسيح يشير الى اعماله باعتبار انها دليل على رسالته الالهية « الاعمال التي انا اعملها باسم ابي هي تشهد لي »

(يوحنا١٠: ٢٥) (راجع ايضاً عدد ٣٢و٣٧و٣٨و١٤: ١١و١٢و١٥: ٢٤)
اما في القرآن فبالعكس فانه انكر معجزات محمد. انظر (الاسراء)
وشهد بمعجزات المسيح انظر (سورة آل عمران)

و نبين باختصار بعض الفروق العظمى التي بين معجزات المسيح
ومعجزات محمد التي في الاحاديث.

توجد شهادة كافية ان كثيرين ممن صرحوا انهم اول شهود
المعجزات المسيحية صرفوا حياتهم في اتعاب واخطار وآلام تحملوها
طوعاً في تقرير الحوادث التي سلموها لنا ولسبب اعتقادهم بها فقط
خضعوا لقوانين جديدة غيرت سلوكهم.

ولا توجد شهادة ان الذين صرحوا بانهم شهود المعجزات
المحمدية فعلوا مثل ذلك في تقرير الحوادث التي دونوها او غيروا
سلوكهم بسبب اعتقادهم بها.

جمع الاحاديث الاسلامية كان متأخراً جداً وحوادثها غريبة حتى
لا يمكن لعالم ان يثق بصحتها كمعجزات غير انها ربما كانت تستحق
ثقة اكثر بخصوص امور اخرى متعلقة بمحمد. وما جاء عن ذلك في
المشكاة او حياة اليقين او عين الحياة وغيرها من الكتب الشائعة
الاستعمال بين علماء السنة والشيعة غريبة جداً حتى انها تلقي الشك

والريب على جميع الاحاديث الاخرى فمثلاً يوجد حديث معناه ان الحور العين تنمو من الارض كالورد على شاطىء نهر في الجنة فيجمعهن المسلمون للذاتهم. وايضاً يوجد في الجنة طيور مطبوخة وتطير ثانية بعد ان يشبع منها المسلمون. وان الله تعالى لما اراد خلق آدم بعث الى الارض جبرائيل ليأتيه بقبضة من ترابها فلما اتاها جبرائيل ليقبض منها القبضة قالت اني اعوذ بعزة الله الذي ارسلك ان تأخذ مني شيئاً يكون فيه غداً للنار نصيب فرجع جبرائيل الى ربه ولم يأخذ منها شيئاً وقال يا رب استعاذت بك فكرهت ان اقدم عليها (ثم ارسل ميكائيل فكذلك ثم بعث الله تعالى ملك الموت فاتى الارض فاستعاذت بالله ان يأخذ منها شيئاً فقال واني اعوذ بالله ان اعصي له امراً فقبض قبضة من زواياها الاربعة. وفي حديث آخر «ان الله تعالى اذن لي (محمد) ان احدث عن ديك قد مرقت رجلاه الارض وعنقه منثنية تحت العرش وهو يقول سبحانك ما اعظمك فيرد عليه لا يعلم ذلك من حلف بي كاذباً. وفي حديث آخر لما ارادت حواء ان تأكل من الحبة نمت الشجرة علو ٥٠٠ سنة لتنجو منها وحديث آخر ان المسافة ما بين اكتاف وآذان حملة العرش مسيرة ٧٠ سنة

ويصرح علماء الشيعة انه توجد منافضات في الحديث فورد

في الكافي ان علياً بن ابرهيم سأل علياً بن ابي طالب عن تناقض بعض الاحاديث ومخالفة بعضها للقرآن وطريقة تمييز الصحيح منها عن غيره فذكر له بعض شروط لتمييز ذلك فقال له فان وافق الخبران جميعاً قال ينظر الى ما ليس اليه حكامهم وقضاتهم اميل فيترك ويؤخذ بالآخر. قال فان مال حكامهم الى الخبرين جميعاً قال ان كان فارجه حتى تلقى امامكم فان الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات.

فينتج من كل ذلك ان دعوى محمد النبوة لم تؤيدها معجزة كما بينه القرآن اما المعجزات في الحديث فغير معقولة البتة ومتناقضة تماماً وبعضها مناقض للقرآن وليس لها أدلة تثبت حدوثها .

الفصل السادس

بحث في بعض اخلاق محمد بحسب ما ورد عنه في القرآن والتواريخ الاسلامية والتفاسير لنعلم دعواه النبوة

علينا الآن ان نتأمل في بعض اعمال محمد والاخبار عن صفاته لنرى هل تثبت هذه دعواه كرسول من الله ونبي واننا في بحثنا هذا نرى وجوب سلوك اللياقة التامة اكراماً لخاطر اخواننا المسلمين وعليه فلسنا نريد ان نقتبس اقوال كتبة المسيحيين في ذلك بل نقتبس من مشاهير المسلمين وكذلك اردنا ان لا نحكم بانفسنا على اي امر كان

متذكرين قول بواس الرسول «من انت الذي تدين عبد غيرك. هو لمولاه يثبت او يسقط» ونحن جميعنا عبيد الله وهو وحده الديان العادل ولكن يحسن لكل منا ان يرى رأياً خاصاً في الموضوع ولو لم يصرح به. ولكي يعرف القرآء المحترمون حقائق هذه المسألة المهمة ليحكموا بانفسهم اذا كان محمد حسبما يعتقد فيه المسلمون ام لا نرى وجوب اقتباس آيات قرآنية مع تفسيرها من اكابر المفسرين لئلا نخطئ في معناها ثم نأتي ببعض عبارات من حياة وسيرة محمد التي كتبها المسلمون وبعض الاحاديث المتفق عليها ليتضح ما فعل بعد ما نال قوة باتحاده مع قبيلتي الاوس والخزرج (الانصار) واعتناقهم للاسلام. وليلاحظ اننا لا نأتي هنا بآرائنا بل نقتبس فقط عبارات اسلامية في الموضوع

والمواضيع التي نريد ان نتكلم عنها هي(١) حوادث محمد الزوجية (٢) طريقة معاملته لاعدائه. والعلماء من القراء سيرون انه كان يمكننا اقتباس اقوال ادنى من التي اقتبسناها في كل موضوع ولكننا تحاشينا ذكر ما نظنه مبالغاً فيه او تساهلوا في نقله كالمتأخرين من الكتاب الذين لم يفكروا بان ما كتبوه مبالغ فيه فيصور ذلك للقراء المنصفين صورة غير ملائمة لمحمد. فتحاشينا الاقتباس من امثال هؤلاء واكتفينا

بالمؤلفات الاولى المقبولة لدى الجميع. وتوجد بعض الاقتباسات من كتب فارسية او تركية تثبت ان العالم الاسلامي باجمعه يوافق على ما سنذكره

(١) مسألة زواجه — في سورة (النساء آية ٣) قاعدة لكل مسلم ان يتزوج مثنى وثلاث ورباع او ما ملكت يمينه ويفسر البيضاوي هذا الجزء الاخير بالسراري وهذه الآية تجيز تعدد الازواج واتخاذ السراري لكل المسلمين في كل الاوقات وقد سبب ذلك اضراراً عظيمة شائعة في البلاد الاسلامية ولكن لم يكن لمحمد حد[1] لزواجه لانه يقول في سورة الاحزاب «يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج» وقال البيضاوي «خالصة لك من دون المؤمنين» ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله وقال ايضاً خالصة اي خلوصاً لك او

---

(١) انظر روضة الاحباب حيث ترى كل شيء عن محمد كزوج

هبة خالصة ولكي نعرف مقدار استعمال محمد هذا الترخيص نجد انه عند وفاته كانت له تسع نسوة احياء فضلاً عن سريتين على الاقل مارية وريحانة ويقول ابن هشام ان محمداً تزوج ثلاث عشرة امرأة منهن عائشة التي كانت بنت ست لما عقد عليها و بنت تسع لما بنى بها «ابن هشام وابن الاثير والمشكاة والبخاري» .

اما مارية القبطية التي ارسلها المقوقس حاكم مصر الخ.فقد جاء في سورة التحريم آية ١و٢«يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضاة ازواجك والله غفور رحيم .قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم» . وقد ذكر البيضاوي تفسيرين لهذه العبارة احدهما اثبته سائر المفسرين وهو «روي انه ص خلا بمارية في فراش عائشة او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت . والحكايات بحذافيرها واردة في روضة الصفا وغيره ولكننا اخترنا هذا التفسير المختصر كي نتحاشى ذكر مالا يجب ذكره ههنا وما تنيره لنا هذه الحكاية عن محمد ليس حسناً. وليلاحظ هنا ان وحياً نزل لحل الايمان .

اما عن زواج محمد بزينب بنت جحش امرأة ابنه الذي تبناه زيد بن حارثة فاننا نقرأ في سورة الاحزاب آيه ٣٧و٣٨«واذ تقول للذي انعم

الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان امر الله مفعولاً . ما كان على النبي من حرج في مافرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدراً مقدوراً »
يقول الجلالان في تفسيرهما ما ملخصه نزلت في زينب فزوّجها النبي لزيد ثم وقع بصره عليها بعد حين فوقع في نفسه حبها وفي نفس زيد كراهتها (؟) فقال هذا للنبي أريد فراقها فقال امسك عليك زوجك ثم طلقها زيد وانقضت عدتها فدخل عليها النبي بغير اذن واشبع المسلمين خبزاً ولحماً. وقال البيضاوي «امسك عليك زوجك» زينب وذلك انه ص ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي ص وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال مالك أرابك منها شيء فقال لا والله ما رأيت منها الا خيراً ولكنها لشرفها تتعظم عليّ فقال له امسك عليك زوجك «فلما قضى زيد منها وطراً» حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها «زوجناكها» والمعنى انه امر بتزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة

عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي ان الله تولى انكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه»[١] ويتضح من هذا القول الاخير ان البيضاوي شعر ان هذا العمل اوجد الشك في قلوب الناس من عمله

وتاريخ محمد مع صفية وريحانة ونسائه وسراريه موجود في ابن هشام وابن الاثير وروضة الصفا وروضة الاحباب الخ ولا يحسن ان نورد شيئاً زيادة لعدم نفعه ولعدم لياقته الا انه ينير لنا عن اخلاق محمد. ولكننا نكتفي انفسنا بما اوردناه عن هذا الامر

(٢) والآن لنتأمل في طريقة معاملته لاعدائه وهنا ايضا نذكر قليلاً من كثير فقط .

فقد ذكر ابن هشام كيف سامت قبيلة بني قريظة نفسها لمحمد بعد حرب طويلة والنبي حكم فيهم عدوة المجروح من حربهم سعد بن معاذ قال سعد «اني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبي الذراري والنساء قال ابن اسحق قال صلعم لسعد لقد حكمت فيهم

---

(١) الضمير عائد على زيد لانه بعد ان سمع الوحي بطلاقها منه وتزويجها للنبي قال له النبي : اني لا أجد ثقة تسمع لقوله سواك فاذهب اليها واخطبها لي فذهب وأتم ما امر به ولو كرهت طبيعته هذا العمل (المصحح)

بحكم الله من فوق سبعة ارقعة . قال ابن اسحق ثم استنزلوا فحبسهم
ص بالمدينة في دار بنت الحرث امرأة من بني النجار ثم خرج رسول
الله ص الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم
بعث اليهم فضرب اعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم اليه ارسالاً
وفيهم عدو الله حيي بن اخطب وكعب بن اسد رأس القوم وهم ستمائة
اوسبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة وقد قالوا
لكعب بن اسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أرسالا يا كعب ما تراه يصنع بنا قال أفي كل المواطن لا تعقلون ألا
ترون الداعي لا ينزع وانه من ذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل
فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ص واتى بحيي بن
اخطب عدو الله وعليه حلة نقاحية. فلما نظر الى رسول الله ص قال
اما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل من الله يخذل
ثم اقبل على الناس فقال ايها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر
وملحمة كتبها الله على بني اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه .

قالت عائشة لم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة قالت والله انها
لعندي تحدث معي وتضحك ظهراً وبطناً ورسول الله يقتل رجالها في
السوق اذ هتف هاتف باسمها اين فلانة قالت انا والله قلت لها ويلك

مالك قالت اقتل قات ولم قالت لحدث احدثته قالت فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة تقول فوالله ما انسى عجبًا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت انها تقتل. وهي التي طرحت الرحى على خلاد بن سويد فقتلته... قال ابن اسحق وكان رسول الله ص قد امر بقتل كل من انبت منهم قال ابن اسحق ثم ان رسول الله ص قسم اموال بني قريظة ونساءهم وابناءهم على المسلمين. ثم بعث ص سعد بن زيد الانصاري اخا بني عبدالاشهل بسبايا من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً وكان رسول الله ص قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خشافة فكانت عند رسول الله ص حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان ص عرض عليها ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو اخف عليّ وعليك» (ابن هشام)

وبعد غزوة بدر بعد ان طرح المسلمون قتلى اعدائهم في القليب ورجعوا الى المدينة بالاسرى قتل بعض الاسرى كما يقول ابن هشام «قال ابن اسحق حتى اذا كان رسول الله ص بالصفراء قتل النضر بن الحريث قتله علي بن ابي طالب كما اخبرني بعض اهل العلم من اهل مكة. ثم خرج حتى اذا كان بعرق الظبية قتل عقبة بن ابي معيط

قال عقبة حين امر صں بقتله فمن للصبية يا محمد قال النار (ابن هشام باب ذكر الفيء ببدر والاسارى) وحكاية قتل كعب بن الاشرف حكاها ابن هشام قال: «ثم رجع كعب بن الاشرف الى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم فقال رسول الله صں من لي بابن الاشرف فقال له محمد بن مسلمة انا لك به يا رسول الله انا اقتله. قال له فافعل ان قدرت على ذلك. فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب الا ما يعلق به نفسه فذكر ذلك لرسول الله صں فدعاه فقال له لم تركت الطعام والشراب قال يارسول الله قلت لك قولاً لا ادري هل أفي لك به أم لا فقال انما عليك الجهد فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وقش وهو ابو نائلة احد بني عبد الاشهل وكان اخا كعب بن الاشرف من الرضاعة وعباد بن بشر احد بني عبد الاشهل وابو عبس بن جبرا احد بني حارثة ثم قدموا الى عدو الله كعب بن الاشرف فجاءه ابو نائلة فتحدث معه ساعة فتناشدا شعراً وكان ابو نائلة يقول الشعر ثم قال ويحك يا ابن الاشرف اني قد جئتك لحاجة اريد ذكرها لك فاكتم عني قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل (محمد) علينا بلاء من البلاء عادتنا به العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال وجهدت الانفس واصبحنا قد جهدنا وجهد

عيالنا فقال كعب انا ابن الاشرف اما والله لقد كنت اخبرك يا ابن
سلامة ان الامر سيصير الى ما اقول فقال له سلكان اني قد اردت ان
تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك فقال اترهنوني ابناءكم
قال لقد اردت ان تفضحنا ان معي اصحاباً لي على مثل رأيي وقد اردت
ان آتيك بهم فتبيعهم وتحسن في ذلك ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء
واراد سلكان ان لا ينكر السلاح اذا جاءوا بها قال ان في الحلقة لوفاء
قال فرجع سلكان الى اصحابه فاخبرهم خبره وامرهم ان يأخذوا السلاح
ثم ينطلقوا فيجتمعوا اليه فاجتمعوا عنده ص قال مشى معهم ص الى
بقيع الفرقد ثم وجههم فقال انطلقوا على اسم الله اللهم اعنهم ثم رجع
ص الى بيته وهو في ليلة مقمرة واقبلوا حتى انتهوا الى حصنه
فهتف به ابو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب في ملحفته
فاخذت امرأته بناحيتها وقالت انك امرؤ محارب وان اصحاب الحرب
لا ينزلون في هذه الساعة قال انه ابو نائلة لو وجدني نائماً ما ايقظني
فقالت والله اني لاعرف في صوته الشر قال لها كعب لو يدعى الفتى
لطعنه لاجاب فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قال هل لك
يا ابن الاشرف ان تماشي الى شعب العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا هذه
فقال ان شئتم فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة ثم ان ابا نائلة شام يده في

فود رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط ثم مشى
ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فاخذ بفود رأسه
ثم قال اضربوا عدو الله فضربوه فاختلفت عليه اسيافهم فلم تغن شيئاً
قال محمد بن مسلمة فذكرت نصلاً لي حين رأيت اسيافنا لا تغني شيئاً
فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا اوقدت عليه
نار فوضعته في معدته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله وقد
اصيب الحرث بن اوس بن معاذ فجرح في رأسه أو في رجله اصابه
بعض اسيافنا قال فخرجنا حتى سلكنا على بني امية بن زيد ثم على بني
قريظة ثم على بعاث حتى اسفرنا في حرة العريض وقد ابطأ علينا صاحبنا
الحرث بن اوس ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم اتانا يتبع آثارنا قال
فاحتملناه فجئنا به رسول الله صں آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا
عليه فخرج الينا فاخبرناه بقتل عدو الله وتفل على جرح صاحبنا فرجع
ورجعنا الى اهلنا «سيرة ابن هشام باب قتل كعب ابن الاشرف»

ولنا حكاية اخرى عن محيصة وحويصة وقتل احد رجال اليهود
بأمر محمد والوسيلة التي اعتنق بها بعض اهل المدينة الاسلام قال ابن
اسحق قال صں من ظفرتم به من رجال اليهود فاقتلوه فوثب محيصة
بن مسعود على ابن شينيه رجل من تجار اليهود كان يلابسهم ويبايعهم

فقتله وكان حويصة بن مسعود اذ ذاك لم يسلم وكان أسن من محيصة فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول اي عدو الله اقتله اما والله لرب شحم في بطنك من ماله. قال محيصة فقلت والله لقد امرني بقتله من لو امرني بقتلك لضربت عنقك قال فوالله ان كان لاول اسلام حويصة قال الله لو امرك محمد بقتلي لتقتلني قال نعم والله لو امرني بضرب عنقك لضربتها قال والله الا ديناً بلغ بك هذا لعجيب فاسلم حويصة قال ابن اسحق حدثني هذا الحديث مولى لبني حارثة عن ابنة محيصة عن ابيها محيصة» (ابن هشام باب امر محيصة وحويصة) ويذكر ابن هشام هذه الحكاية نفسها عن اعتناق حويصة الاسلام باختلاف عن هذا اختلافاً طفيفاً وكان السبب الخوف لان محيصة قتل انساناً بامر محمد

وذكر ابن اسحق حكاية مقتل سلام بن ابي الحقيق بامر محمد ايضاً فذكر اولاً ان بني الاوس وبني الخزرج كانا يتصاولان في غيرتهم على الاسلام فذكرت الاوس انهم قتلوا كعب ابن الاشرف فقالت الخزرج «والله لا يذهبون بها فضلاً علينا ابداً قال فتذاكروا من رجل لرسول الله ص في العداوة كابن الاشرف فذكروا ابن ابي الحقيق وهو بخيبر فاستأذنوا رسول الله ص في قتله فاذن لهم فخرج اليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان

وعبد الله بن انيس وابوقتادة الحرث بن ربعي وخزاعة بن اسود حليف لهم من اسلم فخرجوا وامر عليهم رسول الله صں عبدالله بن عتيك ونهاهم عن ان يقتلوا وليداً اوامرأة فخرجوا حتى اذا قدموا خيبر اتوا دار ابن ابي الحقيق ليلاً فلم يدعوا بيتاً في الدار الا اغلقوه على اهله قال وكان في علية له لها سلم قال فصعدوا فيها حتى اقاموا على بابه فاستأذنوا اليه فخرجت اليهم امرأته فقالت من انتم قالوا اناس من العرب نلتمس الميرة قالت ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه فلما دخلنا عليه اغلقنا علينا وعليها الحجرة تخوفاً أن تكون دونه محاولة تحول بيننا وبينه قال فصاحت امرأته فنوهت بنا وابتدرناه وهو على فراشه باسيافنا فوالله ما يدلنا عليه في سواد الليل الا بياضه كأنه قطنية ملقاة قال ولما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهي رسول الله صں فيكف يده ولولا ذلك لفرغنا منها بليل قال فلما ضربناه باسيافنا تحامل عليه عبد الله بن انيس بسيفه في بطنه حتى انفذه وهو يقول قطني اي حسبي حسبي قال وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيء البصر قال فوقع من الدرجة فوثئت يده وثئاً شديداً ويقال رجله[1] وحملناه حتى نأتي منهراً من عيونهم

---

(١) راجع ما قلناه في معجزات محمد عن هذه الحكاية

فندخل فيه قال فاوقدوا النيران واشتدوا في كل وجه يطلبوننا حتى اذا يئسوا رجعوا الى صاحبهم فاكتنفوه وهو يقضي بينهم... فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله ص فاخبرناه بقتل عدو الله واختلفنا عنده في قتله كلنا يدعيه فقال ص هاتوا اسيافكم قال فجئنا بها فنظر اليها فقال لسيف عبد الله بن انيس هذا قتله ارى فيه اثر الطعام (سيرة ابن هشام باب مقتل سلام بن ابي الحقيق) وفي هذه القصة رأينا ان محمداً امر بعدم قتل امرأة ولكن ليس هذا الحال دائماً لما نرى من قصة قتل عصماء وقتل رجل شيخ عجوز كما يظهر من ابن اسحق ان رجلاً يدعى ابو عفك بلغ من العمر نحو المئة كتب اشعاراً ضد محمد «فقال ص من لي بهذا الخبيث فخرج سالم بن عمير اخو بني عمرو بن عوف وهو احد البكائين فقتله» وعصماء بنت مروان كانت شاعرة هجت محمداً ببعض اشعارها قال ابن اسحق فلما قتل ابو عفك نافقت وكانت تحت رجل من بني خطمة يقال له يزيد بن زيد فقالت شعراً تعيب الاسلام فقال ص حين بلغه ذلك الا آخذ لي من ابنة مروان فسمع ذلك من رسول الله ص عمير ابن عدي الخطمي وهو عنده فلما امسى من تلك الليلة سرى اليها في بيتها فقتلها ثم اصبح مع رسول الله ص فقال يارسول الله اني قد قتلتها فقال نصرت الله

ورسوله يا عمير فقال هل عليّ شيءٌ من شأنها يا رسول الله فقال لا ينتطح فيها عنزان فرجع عمير الى قومه وبنو خطمة يومئذ كثير موجهم في شأن بنت مروان ولها يومئذ بنون خمسة رجال فلما جاءهم عمير بن عدي من عند رسول الله ص قال يا بني خطمة انا قتلت ابنة مروان فليدوني جميعاً ثم لا تنظرون فذلك اليوم اول ما عز الاسلام في دار بني خطمة وكان يستخفي باسلامه فيهم من اسلم وكان اول من اسلم عمير بن عدي . واسلم يوم قتلت ابنة مروان رجل من بني خطمة لما رأوا من عز الاسلام.(ابن هشام الجزء الثالث باب قتل ابي عفك وباب قتل عصماء بنت مروان) وفي رواية اخرى ان عميراً كان اعمى وكان سابقاً زوج عصماء وقد سرى اليها ليلاً في حجرتها وفي حضنها طفل فازاح الطفل عنها وتحامل عليها بسيفه شيئاً فشيئاً حتى نفذ فيها ولما سمع محمد في اليوم التالي اشار الى عمير في المسجد وقال قد نصر هذا الله ورسوله

وقبل قتل ابن ابي الحقيق بقليل قتلت ام قرفة بامر زيد وذلك بان ربط القوم رجليها الى جملين والزموا الجملين بالسير الى طريقين متعاكسين فانشقت المسكينة وتقطعت فهنأ محمد زيداً بعمله ولم يوبخه على هذا التوحش . وذكر ابن هشام ايضاً ان محمداً ارسل عمرو بن امية وجبار ابن صخر من المدينة الى مكة لقتل ابي سفيان بن حرب ولم

يمكنهما قتله اذ عرفهما البعض ففرا ولكنهما قتلا ثلاثة رجال في طريقهما الواحد بعد الآخر. (ابن هشام الجزء الثالث باب بعث عمرو بن امية لقتل ابي سفيان بن حرب وما صنع في طريقه) وكل ذي علم يعرف انه من السهل علينا ان نقتبس من كتبة مشاهير المسلمين روايات عن اخلاق محمد اشد مما كتبنا مثل حكاية قتل مخيريق ولكن كفى بما ذكرناه في هذا الموضوع[1] ولا نريد ان نقول كلمة واحدة من انفسنا عن هذه الروايات فقط نسأل اخواننا المسلمين سؤالاً واحد

لو لم يدع محمد النبوة بل كان عربياً وثنياً كالعرب في الجاهلية ولم يتعلم عن الله تعالى الرحمن الرحيم القدوس بل كان فقط محارباً عظيماً مثل تيمورلنك وكانت رغبته الوحيدة ان يكون قوياً ويلذذ نفسه بالطيب والنساء .

ففي اي شيء كان يختلف (بغض النظر عن القرآن والفرائض الدينية) عن تيمور رغماً عن ادعائه النبوة والرسالة الالهية او بعبارة اخرى في اي شيء اختلفت اخلاقه الادبية عن الفاتحين الذين جل قصدهم النجاح العالمي والتلذذ بالشهوات ؟

هل اخلاق محمد في ما ذكرناه من جهة العفة ومسامحة الاعداء

---

(١) راجع رسالة الكندي عن ذلك

والتواضع والشفقة والورع تبرهن على ان رسالته من الله وانه خاتم الانبياء وآخر المرسلين واكمل الخلائق ؟ وهل من الضروري ان نؤمن بدعواه رغماً عن اخلاقه التي ظهرت بعد ادعائه النبوة ؟

(٣) اما طريقة الوحي لمحمد فعندنا اقوال كثيرة لمؤرخي الاسلام وكتبة الحديث متفق عليها بين اهل السنة والشيعة ففي ابن اسحق وابن هشام وابن الاثير وحسين بن محمد وفي علي جابي (تركي) وفي كثير غير ذلك وتجد احسن مجموعة للاحاديث في هذا الموضوع كتاب مشكاة المصابيح في كتاب الفتن وباب البعث وبدء الوحي

قيل بعث في الاربعين سنة من عمره وكان بغار حراء بقرب مكة وزعم محمد ان الملاك جبرائيل جاءه وامره ان يقرأ باسم ربه فرجع يرجف فؤاده الى خديجة

وقال زملوني زملوني فغطوه ويظهر انه اغمي عليه لانهم رشوا عليه الماء حتى صحا لنفسه كما في ابن الاثير وقيل ان خديجة امتحنته لتعرف ان كان الشيطان هو الذي ظهر له فاقتنعت بانه الملاك جبرائيل ولكن محمداً نفسه كان في شكوك كثيرة وخصوصاً لما فتر الوحي فترة فحزن النبي حزناً شديداً غدا منه مراراً حتى يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له

جبريل عليه السلام . رواه البخاري وغيره

وبعد ذلك كان كل ما جاءه الوحي تظهر عليه علامات تجعل الحاضرين ينتظرون منه آيات قرآنية فعن عائشة سئل رسول الله ص كيف يأتيك الوحي فقال احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه قال واحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فاعي ما يقول . قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقاً (مشكاة المصابيح باب المبعث وبدء الوحي) وروى مسلم « كان النبي اذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه » (المشكاة)

وقال ابن اسحق ان محمداً كان يرقى من العين وهو بمكة قبل ان ينزل عليه القرآن. فلما نزل عليه القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه قبل ذلك واشتهر على بعض الالسنة كما ذكر صاحب كتاب انسان العيون ان آمنة ام محمد رقته من العين وجاء ان رسول الله ص قال لخديجه اذا خلوت سمعت نداءان يا محمد يا محمد رفي رواية ارى نوراً اي يقظة لا مناماً واسمع صوتاً وقد خشيت ان يكون والله لهذا امر. وفي رواية اخشى ان اكون كاهناً اي فيكون الذي يناديني تابعاً من الجن . وفي رواية اخشى ان يكون بي جنون فانه كان يصيبه مايشبه

الاغماء بعد حصول الرعدة وتغمض عينيه وتربد وجهه ويغط كغطيط البكر. وروى عن ابي هريرة ان رسول الله ص كان اذا نزل عليه الوحي لم يستطع احد ان يرفع طرفه اليه حتى ينقضي الوحي وفي لفظ كان اذا نزل عليه ص الوحي استقبلته الرعدة وفي روايه كرب لذلك وتربد له وجهه وغمض عينيه وربما غط كغطيط البكر محمرة عيناه وعن عمر بن الخطاب انه كان اذا نزل على رسول الله ص الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل. وايضاً عن ابي هريرة انهم كانوا يضعون على رأسه الحناء بسبب ألم الرأس الذي كان يصيبه «كتاب مرآة الكائنات» وفي انسان العيون عن زيد بن ثابت انه لما كان ينزل عليه الوحي كان يثقل جداً فجاءت ساقه مرة على ساقي فوالله لم ار اثقل من ساق رسول الله ص. وكان يأتي الوحي احياناً وهو على الجمل فكانت تنوء تحته وتجثو وكلما كان الوحي ينزل على النبي كان كأن نفسه تؤخذ منه لانه كان يحصل له اغماء ويظهر كالثمل»

ولم تبدأ هذه الحوادث مع محمد قبل النبوة بقليل بل من صغره منها انه لما كان ولداً صغيراً وهو في الصحراء عند مرضعته حصل له نوع من ذلك ورويت هذه القصة في اشكال شتى ورواها مسلم عن انس قال «اتاه جبرائيل وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق

عن قلبه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طشت من ذهب بماء زمزم ثم لأمه واعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون الى امه يعني ظئره فقالوا ان محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس فكنت ارى اثر المخيط في صدره» وعلى هامش هذا القول قال صاحب مشكاة المصابيح «قد وقع الشق له صں مراراً فعند حليمة وهو ابن عشر سنين ثم عند مناجاة جبرائيل له بغار حرآء ثم في المعراج ليلة الاسرآء» فنرى ان ما حصل له في حداثته حدث له ثانية في غار حرآء وهو ما يقال له مبعث الوحي

ويقول ابن هشام ان زوج حليمة (ظئره) قال «لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد اصيب فالحقيه باهله قبل ان يظهر ذلك به» ولما ارجعته الى امه آمنة قالت هذه لها «افتخوفت عليه الشيطان قالت قلت نعم» .

وهنا يعترضنا السؤال كيف يثبت ان هذا العارض كان اشارة الى نزول جبرائيل ونزول الوحي؛ يخبرنا المؤرخون ان يوليوس قيصر الامبراطور الروماني و بطرس الاكبر قيصر روسيا ونابليون بونابرت امبراطور فرنسا الاول وغيرهم من العظماء والمحاربين حدث لهم مثل

تلك العوارض . ولكنهم ليسوا انبياء ولا رسلاً . بل اكد الذين كانوا معهم انه مرض اصابهم .

لا شك ان بعض المسلمين من القراء درسوا علم الطب والبعض الآخر لهم اصدقاء اطباء فليبحثوا اذا كان يوجد مرض يظهر غالباً في سن الحداثة من اعراضه ان يصرخ العليل صرخة غريبة غير واضحة ويصرع الى الارض ويصفر لونه ثم احياناً يصير بلون الارجوان ويرتعد الجسد ويزبد الفم وتغلق العينان ويظهر المريض كأنه على وشك الموت وغالباً يرى انواراً واضواءاً ويسمع صلصلة في اذنيه ثم يعتريه ألم شديد في رأسه. وغالباً يشعر بالنوبة قبل مجيئها

اكدوا ان هذا المرض موجود وانه ليس بنادر وحيث ان كاتب هذه الاسطر ليس بطبيب فلذلك لم يبت رأياً في هذه المسئلة

وانا نترك للقرآء ان يحكموا بهداية الله اذا كانت الحقائق التي رويناها عن محمد وعن اخلاقه تثبت انه نبي مرسل من الله. ولنلاحظ ان ما اوردناه ليس كلام اعدائه بل اقوال اصحابه واقربائه والمؤمنين به كخاتم الانبياء والمرسلين

الفصل السابع

بحث في كيفية انتشار الاسلام اولاً في بلاد العرب ثم في البلاد المجاورة

من ابن هشام وسير نبي العرب الاخرى نعلم انه لما ادعى النبوة في مكة في الاربعين من عمره استعمل اولاً الوسائل الودية لانتشار دينه الذي دعاه دين ابرهيم وثبت تعاليمه بتعاليم زيد الحنيف واستعمل نفوذه الشخصي وشدد وحاجّ العرب ليرجعوا عن عبادة الاصنام الى عبادة الله تعالى. وكانت امرأته خديجة اول تابعة له ثم تبعها سبعة وهم عبده زيد بن حارثة (ففك عبوديته) وابو بكر وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة. ويذكر ابن هشام اسماء آخرين اعتنقوا الاسلام اولاً منهم الفتاة عائشة وهؤلاء اعتنقوا الاسلام سراً في السنوات الثلاث الاول لنبوة محمد ثم بدأ يذيع تعليمه جهراً تحت حماية عمه ابي طالب الذي لم يكن قد اسلم بعد. ولا يعلم ان كان قد اعتنق الاسلام بعد ذلك ام لا. وقد ذكر ابن هشام في الجزء الاول باب الهجرة الاولى الى الحبشة ان ستة عشر مسلماً فقط هم الذين هاجروا في السنة الخامسة ولكن لحقهم من وقت لآخر آخرون الى بلاد النجاشي حتى بلغ عددهم ثلاثة وثمانين

رجلا عدا بعض النساء والاولاد ولا دليل على قول بعضهم ان النجاشي اسلم اذ ان بلاد الحبشة لا تزال الى اليوم تدين بالديانة المسيحية. وبعد ذلك بقليل اسلم قريب من اربعين من رجال ونساء بمكة ويقول ايضاً ان عشرين من نصارى نجران سمعوا القرآن وآمنوا. ولكن ذلك غالباً ليس بصحيح فانه اولاً لا يمكن للمسيحيين أن يدخلوا مكة التي كانت وقتئذ ملأى بالاصنام وثانياً لانهم بالطبع لم يجدوا في كتابهم عنه شيئاً كما قال ابن هشام «وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من امره»

وقد اجتمع اشراف قريش فاراد محمد ربحهم الى جانبه بان اكد لهم انهم يملكون العرب وتدين لهم العجم لو عبدوا الله وتركوا عبادة الاصنام. (ابن هشام)

وبعد هجرة كثيرين من اتباعه الى الحبشة سعى نفس هذا المسعى لربح قريش بقوله «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى» ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها (راجع سورة الحج آية ٥٢) وتفسيرها فانتشرت الاخبار الى الحبشة بان اهل مكة قد اسلموا فرجع اكثرهم فوجدوا ما كانوا اخبروا به من اسلام اهل مكة باطلا لان محمداً غير

الجزء الاخير من الآية حالا كما تراها الآن في سورة النجم (آية ٢١—٢٣).

وقد زار بعض رجال الاوس والخزرج الساكنين بيثرب او المدينة مكة وهناك سمعوا محمداً فاسلم احدهم ولكنه مات حالا بعد وصوله لبيته وانتشر الاسلام رويداً ثم جاءه ستة نفر واعتنقوا الاسلام فلم تبق دار من دور الانصار الا فيها ذكر رسول الله ص. وفي بيعة العقبة الاولى جاءه اثنا عشر رجلاً وارادوا مساعدته قال ابن هشام «فاشترط علينا ان لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل اولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين ايدينا ولا ارجلنا ولا نعصيه في معروف فان وفينا نلنا الجنة» وسميت هذه البيعة «بيعة النساء» لانها لم يفترض عليهم فيها حرباً. وقد بعث النبي مصعب بن عمير الى المدينة ليعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين ثم ربح آخرين منهم رئيسين قويين هما سعد بن معاذ واسيد بن حضير. وفي السنة التالية رجع مصعب الى مكة مع ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين من المدينة مسلمين. وفي بيعة العقبة الثانية أرادوا ان يساعدوه بسيوفهم كي ينصروا الاسلام على الشرك فقال لهم لم نؤمر بذلك ولكنه بعد مدة وجيزة صرح لهم ان الله اذن له بالحرب حتى

يكون الدين كله لله. ووعد المؤمنين بالجنة. وبعد الهجرة ذهب كل مسلمي مكة تقريباً الى المدينة وبقي في مكة محمد وابو بكر وعلي مدة ثم هربوا من الخطر. ولا نعلم عدد المسلمين الذين تركوا وطنهم لاجل دينهم. وبعد سنة ونصف من الزمان خرج معه في غزوة بدر (الاولى) نحو ثلاثة وثمانين مهاجراً فنستنتج من هذا ان عدد الذين اسلموا في الثلاث عشرة سنة الاولى بواسطة تعليمه اكثر من المائة بقليل. ولنلاحظ انه قد مات منهم نفر قليل. اما الذين اعتنقوا الاسلام في المدينة فكانوا يقلون عن مسلمي مكة بقليل وهؤلاء ربحهم بترغيبه لهم في الملذات الجسدية.

وقد ذكر ابو بكر في خطبته في جامع المدينة بعد موت محمد بقليل كيف ان مساعي محمد الودية لم تفلح في مكة فقال ما معناه «مكث محمد اكثر من عشر سنوات بين قومه يدعوهم الى الاسلام فلم يؤمن منهم الا القليل واخيراً بمشيئة الله تعالى بعث اليكم نور محياه واتخذ مدينتكم مأوى هجرية» (عن روضة الصفا).

وقد مكث محمد ثلاث عشرة سنة يعمل بالوسائط الودية لنشر دينه وهذه هي الطريقة التي يجب على كل نبي حقيقي ان يتبعها. ولكنه غالباً عرف كما صرح ابو بكر ان هذه المساعي لم تفلح اذ طرد

من مكه مع اتباعه وسكنوا بين قبائل معادية لقريش. وقد ابقى في ديانته كثيراً من العوائد الوثنية كالطواف والحج واستلام الحجر الاسود فكان يستحيل عليه وعلى اتباعه ان يتموا هذه الفرائض الا اذا حاربوا اهل مكة[١] ولم يرجع الانصار عن رغبتهم في الحرب بل اخبرهم ان الله امر بالجهاد لاجل الدين فصار نبي السيف وصار السيف حجة الاسلام الوحيدة من ذلك اليوم .

واذا حكمنا على اخلاق محمد وتابعيه في ذلك الحين فيظهر انهم ظنوا عنهم لزوم اتباع القوانين الادبية التي تعهدوا بها في بيعة العقبة انما الامر الوحيد المطلوب منهم هو الجهاد في سبيل الله بالسيف والحربة والقوس والسهم والخنجر الخ. وكانت هذه الاسلحة الواسطة في ارتكاب محيصة وابي نائلة جريمة القتل كما ذكرناه قبلاً

واننا لا نود ان نشير الى حالة محمد في العفة بل نشير الى صاحبه عبد الرحمن الذي ولد له من ستة عشر امرأة عدا السراري . ولما هاجر عبد الرحمن الى المدينة خيره سعد في ان يطلق له ما يختاره من نسائه ليزوجه بها فتزوج عبد الرحمن احداهن. ولم يعارض محمد بذلك

(١) سورة الحج ٤١ و٤٢ وسورة البقرة ٢١٦

مع ان هذا زنى بحسب شريعة الله[1] ونرى خالد بن الوليد في فتوحه للشام ان سيرته كانت غير محمودة ومع ذلك لم يسقط اسمه وصيته بين المسلمين حتى ان القرآن اباح للمسلمين تعدد الزوجات واتخاذ السراري كما ان محمداً تزوج بقدر ما شاء وكذلك وعد المؤمنين بلذات شهوانية وخصوصاً للذين جاهدوا في سبيل الله . والذين ماتوا في غزواتهم فانهم شهداء عند ربهم وسترحب بهم الحور العين في الجنة حتى ولو قتلوا في غزوة لنهب الآخرين وللحصول على ما لهم بالقوة

وما اعلن محمد الاذن بالحرب والجهاد والغزو حتى كثر انضمام العرب اليه وبعد وصوله للمدينة بقليل «لم تبق دار من دور الانصار الا وفيها مسلم» كما ذكر ابن هشام. ثم عاهد وآخى بين المهاجرين والانصار وامر ببناء جامع .

وقد رأينا قلة الذين اسلموا في غضون الثلاث عشرة سنة الاولى قبل الهجرة اما الآن فكانوا يكثرون جداً حتى انه لما هاجم مكة بعد ثماني سنوات كان معه عشرة آلاف مسلم وفي السنة التاسعة للهجرة في غزوة تبوك كان معه نحو ثلاثين الفاً من الرجال وبعد حين لما ارسلهم ابو بكر لفتح الشام قال الواقدي «فنظر اليهم وقد ملأوا

---

(١) متى ٥:٣٢ و١٩:٩ ومرقس ١٠:١١ ولوقا ١٦:١٨

الارض» ولا شك ان اغلب هؤلاء التابعين قد انموا اليه حباً في ما كانوا ينالونه من الغزوات وليس رغبة في ملذات الجنة وكان هذا فكر الخليفة المأمون. والبعض اعتنقه جبراً خوفاً على حياته. فكثيرون من اليهود الساكنين في المدينة او بقربها اعتنقوا الاسلام قال ابن هشام «فتظاهروا بالاسلام واتخذوه جنة من القتل ونافقوا في السر» ويذكر اسماء كثيرين من الذين اسلموا ولهم عذر واضح في ذلك وهو ما جرى لاخوانهم بني النضير وبني قينقاع وبني قريظة

ولكن ليس اليهود فقط الذين خيروا بين الاسلام او الموت الشنيع بل كانت تلك المعاملة عامة حتى انها عوملت بها قريش فبعد فتح مكة سنة ٨ هـ قالت قريش «قتلنا فاسلمنا» .

ويذكر ابن هشام حكاية اسلام ابي سفيان الذي لما جيء به من السجن الى النبي قال صر «ويحك يا ابا سفيان ألم يأن لك ان تعلم انه لا اله الا الله. قال والله لقد ظننت انه لو كان مع الله اله غيره لكان قد اغنى عني شيئاً بعد قال ويحك يا ابا سفيان ألم يأن لك ان تعلم أني رسول الله قال اما هذه فان في النفس منها حتى الآن شيئاً فقال له العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله قبل ان تضرب عنقك قال فشهد شهادة الحق» اذ اقتنع بقوة تلك الحجة

الدامغة وبهذه الحجة نفسها أسلم رفيقاه في سؤ الحظ حكيم بن حزام وبديل بن ورقة

ويخبرنا ابن الاثير ما معناه ان رجلا يدعى بجير هجا محمداً في كلامه ثم رجع اليه واعتنق الاسلام وان اخاه المدعو كعب لما سمع بذلك كتب شعراً يعيب محمداً فغضب النبي وامر بقتله فكتب بجير الى اخيه وطلب اليه ان يسرع باعتناق الاسلام قبل ان ينفذ فيه الامر بقتله فانتصح كعب بنصح اخيه وبذلك انقذ حياته

وقد رغّب محمد تابعيه بوسائل ادنى من ذلك منها ترغيبه لهم الجهاد حباً في النساء فامر الناس بالتهيوء لغزو الروم في غزوة تبوك واخبرهم انه يريد الروم بخلاف عادته فانه قاما يخرج في غزرة الا كنى عنها واخبرانه يريد غيرها الا ما كان من هذه الغزوة فقال ذات يوم وهو في جهازه لذلك للجد بن قيس ياجد هل لك العام في جلاد بني الاصفر فقال يارسول الله أو تأذن لي ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي انه ما من رجل باشد عجباً بالنساء مني واني اخشى ان رأيت نساء بني الاصفر ان لا اصبر فاعرض عنه ص وقال قد اذنت لك ففي جد بن قيس نزلت هذه الآية «ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين» اي انه كان انما خشي

الفتنة من نساء بني الاصفر وليس ذلك به فاسقط فيه من الفتنة اكبر بتخلفه عن رسول الله ص والرغبة بنفسه عن نفسه (انتهى ملخصاً من سيرة ابن هشام غزوة تبوك) ومما يدل على اخلاقه ما قاله عبد الله الهاشمي لعبد المسيح الكندي في ترغيبه له باعتناق الاسلام ما معناه الترغيب في الملذات والشهوات الجسدية في الدنيا والآخرة كقوله بسماح الدين الاسلامي له بان يجمع بين اربع نسوة عدا السراري وختم قوله له واقبل داخلاً في الدين القيم السهل .

ومن البواعث الاخرى التي كان يحرضهم بها محمد للجهاد هو النهب والسلب وهذا واضح ولكننا سنقدم قليلا من ذلك منها ان عبد الرحمن ابن عوف الذي ذكرناه من المهاجرين جاء الى المدينة فقيراً ولما مات ترك كومة من الذهب كانت تكال بالفؤوس حتى ادمت ايدي الناس في تفريقها وعدا ذلك ترك الف جمل وكثيراً من قطعان الغنم والبهائم. ثم بعد غزوة نهاوند كانت الغنيمة فائقة الوصف حتى انه بعد رفع الاخماس قسم ما بقي من الغنائم فكان سهم الفارس ستة آلاف درهم وكان سهم الراجل الفين (راجع غزوة نهاوند في روضة الصفا)

وقد صرف محمد وقتاً طويلا بين الهجرة وموته في وضع طرق

الغزوات لاغناء تابعيه قال الواقدي ان محمداً حضر تسع عشرة غزوة من ست او سبع وعشرين غزوة ويقول ابن الاثير ان الغزوات كانت خمساً وثلاثين ولكن ابن هشام يقول « وكان جميع ما غزا رسول الله صں بنفسه سبعاً وعشرين غزوة ... قاتل منها في تسع غزوات هذا عدا السرايا والبعوث والنهاب الليلية الخ » واننا لا نعلق على اخلاق محمد هذه بل نكتفي بان نشير الى ما ذكره الكندي في رسالته عن ذلك فراجعه

ولكي تظهر بعض البواعث التي سببت انتشار الاسلام في بدء ظهوره وبعده نكتفي باقتباس قول الخليفة المأمون[1] «والله اني لا اعلم ان فلاناً وفلاناً وفلاناً «حتى عدد جملة من خواص اصحابه» ليظهرون الاسلام وهم ابرياء منه وبراء مني واعلم ان باطنهم ليخالف ما يظهرونه وذلك انهم قوم دخلوا في الاسلام لا رغبة في ديانتنا هذه بل ارادوا القرب منا والتعزز بسلطان دولتنا لا بصيرة لهم ولا رغبة في صحة ما دخلوا فيه واني اعلم ان قصتهم كقصة ما يضرب من مثل العامة ان اليهودي انما تصح يهوديته ويحفظ شرائع توراته اذا اظهر الاسلام وما قصة هؤلاء في مجوسيتهم واسلامهم الا كقصة اليهودي واني لا اعلم ان

---

(١) انظر رسالة الكندي طبعة سنة ١٩١٢ وجه ٧٣ — ٧٥ (من مطبعتنا)

فلاناً وفلاناً (حتى عدد جماعة من اصحابه) كانوا نصارى فاسلموا كرهاً فما هم بمسلمين ولا نصارى ولكنهم مخاتلون فما حيلتي وكيف اصنع فعليهم جميعاً لعنة الله... ولكن لي قدوة برسول الله ص واسوة به لقد كان اكثر اصحابه واخصهم به واقربهم اليه نسباً يظهرون انهم اتباعه وانصاره وكان ص يعلم انهم منافقون وعلى خلاف ما كانوا يظهرون له وصح ذلك عنده وانهم لم يزالوا يبتغون له الغوائل ويريدون به السؤ ويتطلبون له العثرات ويعينون المشركين عليه... ثم ارتدوا جميعاً بعد موته فلم يبق منهم احد كان يظن به رشداً الا رجع وارتد وحرص على تشتيت هذا الامر وابطاله ظاهراً وباطناً وعلانية وسراً الى ان ايده الله وجمع تفرقهم والقى في قلوب بعضهم شهوة الخلافة ومحبة الدنيا» الخ

وليس الارتداد عبارة عن الامتناع عن دفع الزكاة فقط وان يكن مخالفاً للقرآن بل ان عموم العرب قد ارتدت عن الاسلام حقيقة. قال ابن الاثير ما معناه ارتدت العرب شرفاء ووضعاء من كل قبيلة واعلن الشقاق ورفض اليهود والنصارى الخضوع وبقي المسلمون كالغنم في الليلة الماطرة لفقد نبيهم ولقلتهم وكثرة اعدائهم» وكانت الظروف حرجة جداً حتى انهم طلبوا من ابي بكر بشدة ان يبقي الجيش

النازل قرب المدينة تحت امرة اسامة بن زيد الذي اعده محمد قبل وفاته لغزو الشام ولكنه رفض ان يعصي امر محمد الآخر فاخضع ابو بكر القبائل وردها للاسلام بالوعد والوعيد وبقوة السيف وهذا قد صرح به السيوطي وغيره في قوله « لما ارتدت العرب جاهدهم ابو بكر واصحابه حتى ردهم الى الاسلام .

وهنا ابتدأ انتشار الاسلام خارج حدود بلاد العرب. فيجب ان نبحث اولاً كيف تم ذلك وبامر من وما هي الطرق التي استعملت في اقناع الناس بان محمداً رسول الله وخاتم الانبياء وباي روح تم ذلك العمل وباية حجة قبل اهل الشام ومصر وفارس اعتناق الاسلام

لما سير ابو بكر الجيوش للشام بعد موت محمد قال ما معناه «اعلموا ان رسول الله كان عزم على غزو سورية فاخذه الله اليه ... واني والله عازم على توجيه ابطال المسلمين الى الشام وقد قال لي رسول الله ص قبل وفاته: واعطيت مشارق الارض ومغاربها وما اعطي لي فهو لامتي» (الواقدي فتوح الشام) ثم كتب ابو بكر كتباً للمسلمين ولمكة يأمرهم بالجهاد والجهاد اسم اطلقه كتبة المسلمين على الحرب وقد اوصى ابو بكر يزيد بن ابي سفيان حين خروجه مع الجيش الى الشام بما ذكرناه في الفصل الثالث من الباب الثاني من هذا الكتاب

ومحمد نفسه اوصى زيد بن حارثة ابنه بالتبني بمثل ذلك «اقتلوا اعداءكم واعداء الله الذين في الشام . وهناك تجدون اناساً في صوامع فلا تزعجوهم ولا تقتلوا امرأة او وليداً ولا تقطعوا نخلاً ولا تخربوا بيتاً »[١] ولكن ذلك لا يدل على رحمة للنساء فانهم كانوا يبقين لشيء اردأ هو التسرّي بهن . مع ما رأينا من محمد وقتله نساء في المدينة ومكة لسبب هجوه ولم يكن المسلمون ارحم منه على النساء بعد موته. اخبرنا السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء عن امرأتين اولاهما ذمت محمداً والثانية عابت الاسلام فانهم قطعوا يداً من كل منهما وكسروا اسنانهما الامامية.ولما سمع ابو بكر بذلك كتب قائلاً لو استشاروا في ذلك لكان امر ان تقتل الاولى . اما الروح التي بها اعتنقت الامم المجاورة الاسلام فتظهر في شعر علي بن ابي طالب

السيف والخنجر ريحاننا اف على النرجس والآس
شرابنا دم اعدائنا كأسنا جمجمة الراس

وذلك بحسب تعليم القرآن فان في سورة (المائدة آية ٣٦) «انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من

---

(١) قابل رؤيا يوحنا ٩: ٤

الارض» ثم في سورة التوبة امرهم بعد الاربعة اشهر الحرم بالبراءة من المعاهدة مع المشركين فقال « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد» (سورة التوبة آية ٦) ولا يخلوا سبيلهم الا على شرط ايتاء الزكاة واقامة الصلاة والتوبة او بلفظ آخر اعتناق الاسلام. ونجد الحكم على اهل الكتاب في نفس السورة آية ٣٠ «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»

ولا يزال هذا الامر محتماً على المسلم الذي يجب عليه ان يلزم اليهود والنصارى ان يعتنقوا الاسلام او تكون حالتهم اذل من حالة العبيد وكما سنرى قام المسلمون بهذا الواجب وبهذا غلبوا الشام وفلسطين ومصر وفارس. لا شك ان الدافع القوي لكثير منهم الى الرغبة في الحرب هو حب النهب واتخاذ السراري. ولكن لا يفوتنا ان الدين شجعهم على ذلك. فكانوا يصرحون بان سبب كل حروبهم هو لانتشار الاسلام او بعبارة اخرى الجهاد وقد رأينا ان ابا بكر دعا غزوة الشام بهذا الاسم. وان الخليفة عمر في كتابه لعياض بن غانم في فتح ديار بكر وبقية فارس يدعوها الجهاد. والمؤرخون من المسلمين

يدعون كل الحروب بهذا الاسم. وكان يقدم لاهالي تلك الامم القاعدة الموضوعة في سورة التوبة التي قام بحفظها المسلمون خير قيام وسنقدم بعض امثلة من ذلك كتب ابو عبيدة لاهالي مدينة القدس لما حاصرها المسلمون «اذا قبلتم ديننا او رضيتم بدفع الجزية لا نتداخل في امركم والا فارسل لكم اقواماً الموت لاجل دينهم احب اليهم من حبكم في اكل الخنزير وشرب الخمور» وكذلك يزيد ارسل بمثل هذه الرسالة الى مدينة القدس ايضاً. «ماذا تجيبون عن دعوتكم الاسلام والحق والشهادة التي هي لا اله الا الله محمد رسول الله حتى يغفر لكم الله ذنوبكم الماضية وبذلك تمنعون سفك دمائكم واذا رفضتم فاعملوا معنا معاهدات مثل ما عمل من هم اعظم منكم واقوى واذا رفضتم هذين الشرطين فالويل والهلاك لكم» وقد ضمن كل ذلك المترجم في قوله « ان الرئيس يخيركم بين الاسلام او الجزية او السيف » فاجابه المسيحيون اننا لا نرتد عن دين المجد واذا قتلنا فذاك اسهل لنا. وفي بدء فتح ارمينيا كتب الى بوستيوس حاكم بلدز يقول ارسلنا لكم كي تشهدوا ان لا اله الا الله لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله او تدخلوا في ما دخل فيه الناس او تدفعوا الجزية صاغرين .

لما ارسل سعد بن ابي وقاص المغيرة بن شيبة الى يزدجرد في

مديان كانت معه رسالة من الخليفة هذا معناها «ندعوك الى قبول الشريعة السمحة فاذا قبلتها لا تدخل قدم في ملكك بدون اذنك ولا يطلب منك سوى الزكاة والخمس واذا لم تقبلها تلزم بدفع الجزية والا فاستعد للحرب. وقال الكاتب ايضاً اذا رفضتم الاسلام ودفع الزكاة والخمس فادفعوا الجزية وانتم من الصاغرين» فسأله يزدجرد عن معنى كلمة صاغر فقال معناها ان تدفع الجزية وانت واقف على قدميك والسوط يعمل فوق رأسك ويقول الواقدي ان ابا موسى ارسله سعد بن ابي وقاص الى القائد رستم قبل معركة القدسية يقول جئنا لنطالب منكم ان تقبلوا الشهادة والاسلام والا فالسيف خير شاهد بيننا فيتضح ان المسيحيين والمجوس كانوا مجبورين على دخول الاسلام او مخيرين بين احدى ثلاث (١) اما الاسلام رغماً عن ارادتهم (٢) او دفع الجزية وهم من الصاغرين (٣) او الموت. وكله ناتج من قوانين القرآن الواردة في سورة التوبة كما اوردناها قبلاً ولا ننكر ان معاملة المجوس والمشركين كانت اشد من معاملة المسيحيين كما في آية ٦ من نفس السورة فان لقب اهل الكتاب هو لليهود والنصارى فقط.

وعليه فالذين اجبروا على اعتناق الاسلام خوفاً من السيف رفضوه لما رأوا في انفسهم قوة على ذلك ففي سنة ٣٠ ه ارسل الخليفة

عثمان بن ابي العاص او كما يقال سعد اخاه ضد يزدجرد الذي كان يساعد اهل استخر الذين كانوا خضعوا للاسلام ثم ارتدوا عن الصراط المستقيم ولكن التصريح بان الاسلام ليس من الله فهو خطر اعظم جداً . اذ ان شريعة القرآن في ذلك القتل فقد جاء في سورة البقرة (آية ٢١٤) « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر » .

وفي ابن هشام في باب فتح مكة يذكر ان محمداً قتل رجلاً لارتداده عن الاسلام .

واذا اعتنق الانسان الاسلام ظاهراً ولم يؤمن به باطنًا فهو منافق ومصيره بحسب القرآن انه في الدرك الاسفل من النار . ومع ذلك فكان الواجب الاول على المسلمين في ايام الاسلام الاولى ان يلزموا الناس باعتناق الاسلام او بعبارة اخرى يلزموهم بالنفاق وكذلك الشهوات والتجارب العالمية كانوا يقدمونها لمن يقبل الاسلام ولو ظاهراً وبهاتين الطريقتين انتشر الاسلام . وكانوا يتخذون الجهل في تلك الايام وسيلة لحفظ الناس في هذا الايمان وذلك واضح من امر الخليفة عمر في المكاتب التي كانت توجد في البلاد التي يفتحونها

فقد كتب ابو الفرج عن مكتبة الاسكندرية ما معناه

ان عمرو بن العاص لما فتح مصر سنة ٦٤٠ م سأل عمر ماذا

يعمل بالمكتبة فاجاب اذا وافقت الكتب القرآن فلا لزوم لبقائها واذا لم توافقه فيجب اتلافها. وفي كشف الظنون سأل سعد بن ابي وقاص لما فتح الفرس عما يعمل بكتابها. فكان جوابه ما معناه «اطرحها في الانهار فان كان فيها هدى فنحن عندنا احسن هدى في كتاب الله واذ كان فيها ضلال فايقينا الله شرها وقد اطاعوا امره في مصر وفارس . الا انه في عصر المعتزلة سادت الحرية نوعاً ما في البلاد الاسلامية في البحث والاستقصاء .

والاضطهادات التي وقعت على المجوس الذين رفضوا اعتناق الاسلام جعلت كثيرين منهم يهربون الى الهند حيث سلالتهم الآن وفي بومباي جمعية صناعية نشيطة منهم اذ وجدوا انه اسهل بكثير ان يعيشوا في وسط الهنود الوثنيين من ان يعيشوا في بلادهم تحت ذل واضطهاد المسلمين . وكل من عاش او سافر الى البلاد الاسلامية يعرف مقدار الذل الواقع على الذميين سواء نصارى اويهود اومجوس فلا تقبل لهم شهادة في المحاكم ولا يمكنهم الدفاع عن انفسهم من الشر والحيف بل هم معرضون في كل آن للمذابح الاسلامية. كما حصل في اطنة وفي ارمينيا وفي بلغاريا منذ سنوات قليلة. ولمدة اجيال كانت تؤخذ ابناء المسيحيين خطفاً ويلزموا باعتناق الاسلام قسراً ويخدموا

كيسقجية وهم جماعة الانكشارية التي افناها احد السلاطين قريباً

ولما كان مصحح هذا الكتاب في فارس بقرب اصفهان كان يعرف شخصاً مسلماً ساكناً بقرية قريبة منه فقال له هذا المسلم «منذ خمسين سنة لما كنت ولداً صغيراً كنت انا ووالدي وكل اهلي من المجوس فاصدر المجتهد (العالم) يوماً ما امراً بان يعتنق جميعنا الاسلام. فذهبنا الى الوالي وترحمنا منه ورفضنا ان نغير ديننا وقدمنا رشوة للعلماء واشراف المسلمين. فاخذوا مالنا ولم يساعدونا. وصرح المجتهد انه يقدم لنا فرصة حتى ينتصف يوم الجمعة المقبل فان لم نعتنق الاسلام في تلك المدة فنقتل كلنا. وفي ذلك الصباح تجمهر حول قريتنا رعاع المسلمين وبايديهم اسلحة مميتة منتظرين الميعاد المضروب ليبتدأ بالنهب والقتل. وانتظرنا عبثاً ان يلين قلب عدونا حتى انتصف النهار ولكن عند الظهر تماماً التزمنا ان نعتنق الاسلام وبذلك انقذنا حياتنا»

وفي تلك المدينة الى عهد قريب كان يوجد قانون مؤداه اذا اعتنق فرد من عائلة مسيحية الاسلام ولو كان اصغرهم فكل ممتلكات العائلة تسلم اليه ويطردوا اباه وامه واخوته واخواته من بيتهم ويتركوا في ذل. واذا تأملنا في التوحش والاضطهاد الذي حل بالذميين في مدة ١٣٠٠ سنة الماضية في كل البلاد الاسلامية نتعجب كيف امكن

لبعضهم ان يقاوم الاضطهادات التي حلت بهم كي يكونوا منافقين

وها قد انتهينا من بحثنا في دعوى الاسلام انه آخر وحي من الله. واذا تأملنا في المقياس الذي وضعناه في المقدمة وتأملنا في مقدار ما يوافق الاسلام هذا المقياس نجد الجواب سهلا . واننا نرى ان الاسلام ليس فيه الا البند الرابع الذي يتفق مع المقياس ولكن من الوجه الآخر نرى في المسيحية جميع هذه الشروط تامة .

الفصل الثامن

وهو الخاتمة

والآن ايها القارئ العزيز ها قد فحصنا معاً الادلة التي تقام على صحة الاسلام وبحثنا دعاوي محمد بانه سيد المرسلين وخاتم الانبياء. فبقي عليك ان تحكم لنفسك تحت نظر الله العارف بقلوب البشر اذا كانت هذه الدعوى حقيقية ام كاذبة والله ارحم الراحمين نسأل ان يهديك الى سواء السبيل

فعليك ان تختار اما الرب يسوع المسيح كلمة الله او محمد بن عبد الله — تختار ذلك الذي جال يعمل الخير اوالمدعو نبي السيف — تختار الذي قال احبوا اعداءكم[١] اوالقائل اقتلوا اعداءكم واعداء الله — الذي

(١) (متى ٥:٤٤)

صلى لاجل قاتليه[١] اوالذي امر بقتل من عابه. لا شك انك عارف باخلاق وحياة المسيح التي هي من اعظم الادلة واقوى البراهين على صحة دعواه «جاءت الشمس دليلا على الشمس — اذا اردت ان تعرفه (الله) فلاتحول وجهك عنه» ومن الوجهة الاخرى قدرأيت ما كتبه كتبة المسلمين عن حياة واخلاق محمد. فاحكم لنفسك اذا كانت اخلاقه افضل من اخلاق المسيح فانت مبرر في رفض المسيح وقبول محمد مخلصاً بدلاً عن المخلص. انت عارف ان الكتاب المقدس هو كلام الله وهو يعلمنا انه اتماماً للنبوات قد وضع حياته الثمينة لاجل الخطاة وكفر عن خطايانا اما محمد فمات موتاً طبيعياً ولم يدع انه مات عن خطايا الناس. وقدقام المسيح حسب وعده وبحسب شهادة تلاميذه فاثبت بذلك انه غلب الموت[٢] اما محمد فلا يزال في القبر

يوجد في المدينة بين قبري محمد وابي بكر محل قبر يقول المسلمون انه سيكون قبر سيدنا يسوع المسيح ابن مريم لم يدفن به احد البتة. وفراغه يذكر الحجاج انه حي[٣] ومحمداً ميت فاي الاثنين اقدر على مساعدتك؟ انت تؤمن ان المسيح سيأتي ثانية بل تنتظر الآن مجيئه بخوف وكذلك نحن المسيحيين ننتظر مجيئه الثاني برجاء وفرح

---

(١) لوقا ٢٣: ٢٤ (٢) ٢ تيموثاوس ١: ١٠ (٣) رؤيا ١: ١٨

عالمين ان وعده[١] ووعد ملائكته[٢] سيتم. اننا ننتظر الوقت الذي فيه يتم قال الرسول « هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين والذين طعنوه وينوح عليه جميع قبائل الارض[٣] » فكلما اقترب يوم مجيئه زدنا غيرة في طاعة امره الوداعي[٤] وداومنا الكرازة بالانجيل لجميع العالم. حياتنا على الارض ليست طويلة وكذلك حياتك فكأموات نطلب من اموات ان يؤمنوا بالله الحي القدوس العادل الرحيم.

نسألك ان تقبل في داخل قلبك ذاك الذي هو نور العالم[٥] حتى تسير في هذه الحياة في نور حق الله وتنجو من فخاخ الشيطان ومن سلاسل وعبودية الخطية ولا تخجل اخيراً من المسيح عند مجيئه ليدين العالم[٦] بالبر «لانه لا بد اننا جميعاً نظهر امام كرسي المسيح[٧] » «الذي اعطي اسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الارض ومن تحت الارض ويعترف كل لسان ان يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب[٨] » ستجثو يوماً ما امامه فلماذا لا تجثو الآن.

اننا نقدم لك البشارة المفرحة عن محبته التي جعلته يضع نفسه

---

(١) يوحنا ١٤:٣ (٢) اعمال ١:١١ (٣) رؤيا يوحنا ١:٧ (٤) مت ٢٨: ١٨ — ٢٠ (٥) يوحنا ٨:١٢ (٦) مت ٢٥:٣١ ـ ٤٦ (٧) ٢ كورنثوس ٥:١٠ (٨) فيلبي ٢:٩ — ١١

لاجلك انت الذي لم تؤمن به كما آمن[١] تلاميذه . هو الآن يقدم لك مجاناً هبة[٢] الخلاص والثقة بمغفرة الله لخطايانا والنعمة لتخدمه تعالى بحياة جديدة واخيراً يعطي لك مكاناً في المنازل السماوية[٣] في حضرة الله في السماويات التي لا يدخلها نجس[٤] .

صل ايها الاخ ان يهديك الله وان يرشدك الى حكم عادل في هذا الامر المهم قبل ان يفوت الوقت.وبذلك تكون في جانب الله في الحرب بين الحق والباطل.وتجد الحق في ذاك الذي هو الطريق والحق والحياة[٥].وان سرت هنا يومياً مع الله وقبلت في قلبك ذلك السلام الذي لا يمكن للعالم ان يعطيه لاحد وأعتقت من خوف الموت وجهنم يمكنك ان تنظر بفرح الى قيامة مجيدة وعندما يأتي ثانية ليدين العالم بالبر تنال من يده القوية اكليل الحياة الابدية .

---

(١) ١ كورنثوس١٥:٣ (٢) رومية ٦:٢٣ (٣) يوحنا ١٤:٣ (٤) رؤيا ٢١:٢٧ (٥) يوحنا ١٤:٦



المسابقة الثالثة
لسلسلة ميزان الحق .

إيها الاخ ، ربما توافق على البحوث الموجودة في الجزء الثالث من سلسلة ميزان الحق او ترفضها . نقترح عليك ان تكتب بصراحة افكارك الخاصة مما فهمت حول الاسئلة التالية ، فنرسل لك الكتاب القيم في سبيل الحق .

١ ــ هل تنبأ الكتاب المقدس عن محمد ؟ **(الفصل الثاني) .**

٢ ــ هل يمكن ان تكون فصاحة القرآن معجزة الهية ؟ **(الفصل الثالث) .**

٣ــ اذا فحصت مشتملات القرآن كيف تفكر أنها من عند الله؟ (الفصل الرابع)

٤ ــ ما هي المعجزات المنسوبة لمحمد وهل هي فعلا معجزات الهية ؟ (الفصل الخامس) .

٥ ــ ماذا تعرف عن اخلاق محمد وماذا ادركت من مقارنته باخلاق المسيح ؟ **(الفصل السادس) .**

٦ ــ كيف ينبغي ان تكون كيفية انتشار دين الله ؟ **(الفصل السابع) .**

٧ ــ هل عندك فكر خاص حول المواضيع المفسرة في هذا الجزء الثالث ؟ الفصل الثامن) .

ارسل اجوبتك بخط واضح وعنوان كامل الى ،

مركز الشبيبة

MARKAZ-ASH-SHABIBA P.O.B.354
CH-4019 BASEL · SUISSE